

سلسلة الفكر العربي تحت مجهر التصور الإسلامي

الجانب النظيري (3)

اكتشاف الموهبة الأدبية لدى الطفل وتنميتها

تأليف

د. سهيلة زين العابدين حمّاد

نحو نظرية نقدية جديدة

سلسلة الفكر العربي تحت مجهر التصور الإسلامي

الجانب النظري (3)

اكتشاف الموهبة الأدبية لدى الطفل وتنميتها

تأليف

الدكتورة سهيلة زين العابدين حماد

النسخة الإلكترونية الأولى

1443هـ / 2021م

تنويه

تمّ تأليف هذا الكتاب وإعداده للنشر عام 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

يسعدني أن أهدي هذا الكتاب إلى وزراء الثقافة والتعليم والقائمين والقائمات بشؤون الطفولة آملة أن يهتموا باكتشاف المواهب لدى الأطفال ، ويعدوا برامج لتميتها ، مع العمل على حمايتهم في مناطق الصراعات والحروب.

المؤلفة

حرر في الرياض 9 ربيع الثاني عام 1443هـ / 14 نوفمبر عام 2021م

فهرس الموضوعات

3.....	تتويه
4.....	إهداء
5.....	فهرس الموضوعات
8.....	مقدمة
11.....	الفصل الأول
11.....	ماهية اللغة
12.....	ماهية علم اللغة
12.....	الفروع الرئيسية لعلم اللغة
12.....	أولاً: علم اللغة النظري
13.....	فروع علم الأصوات
13.....	- علم النحو grammar
14.....	- علم اللغة التاريخي: Historical Linguistics
14.....	علم الدلالة semantics
14.....	ثانياً: علم اللغة التطبيقي: Applied Linguistic
14.....	- علم اللغة النفسي Psycholinguistics
16.....	الأساس الفيزيائي والعضوي والعصبي للغة
16.....	الأساس النفسي للغة
18.....	علم اللغة الاجتماعي
21.....	الفصل الثاني
21.....	كيف يتعلم الطفل اللغة كيف يتعلم الطفل اللغة؟
26.....	نتائج الدراسات المختلفة للنمو اللغوي للطفل
27.....	تحصيل معاني المحسوسات لدى الطفل
28.....	الخلاصة

29	النمو اللغوي وثقافة الطفل
31	الأسس التي تستند عليها ثقافة الأطفال
34	ثقافة المراهقين
39	الفصل الثالث
39	بناء الطفل بناء الطفل
40	تحديد الهوية
44	الفصل الرابع
44	الموهبة الأدبية وتنميتها
45	الموهبة الأدبية
46	الموهبة الأدبية والذكاء
47	ارتباط النبوغ الأدبي بالنبوغ العقلي
47	مستويات الموهبة
50	سمات الموهبة الأدبية
50	<u>1. لطافة الحس التخيلي</u>
51	<u>2. صاحب الخيالي</u>
52	<u>3. التمثيل التلقائي واللعب التوهمي</u>
53	<u>4. النزعة الإحيائية</u>
53	<u>5. قوة الحافظة ولطافة الحس الروائي</u>
54	<u>6. التردد ولطافة الحس اللغوي</u>
55	<u>7. لطافة الحس الموسيقي "الدندنة والتغني"</u>
56	<u>8. الحدس والتفطن</u>
57	<u>9. الانفاذ وقياس مهارات التدوق</u>
58	<u>10. الإجازة وتنمية الابتكارية</u>
60	منهج التنشئة الأدبية

61	الموهبة والإطار الثقافي للأسرة.....
67	الخاتمة والتوصيات.....
69	ثبت المصادر والمراجع.....
70	ملحق رقم (1).....
70	أعمال مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل "رؤية تقييمية".....
70	إعداد/ أسهيلة زين العابدين حمّاد.....
71	رؤية تقييمية لأعمال مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ بناء الإنسان يبدأ بالطفل ، ويشكل الأطفال والمراهقون في عالمنا العربي نسبة كبيرة ، وأعدادهم متزايدة ، وكما جاء في آخر إحصاء لمنظمة الأمم المتحدة والطفولة " اليونسيف" أنَّ عدد الأطفال في العالم العربي سيبلغ 680 مليون في عام 2050م.

يُنسب للغرب سبقه الاهتمام بالطفل ، مع أنَّ الدين الإسلامي كان أول الأديان التي اهتمت بالطفل، يقول تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر)¹ ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الطفل في وجهه لئلاً يُبلد حسه ، كما نهى عن تفضيل ولد على ولد ولا بقبلة ، والقرآن الكريم يمثل القمة في ثقافة الطفل وتنمية قدراته ومهاراته اللغوية والعلمية ، فإن تمكنا من جعل أطفالنا يحفظون القرآن الكريم واستيعابه بصدق نكون بذلك أنشأنا جيلاً مثقفاً يمكنه مواجهة العالم أجمع، وقد روى لنا التاريخ الإسلامي مدى اهتمام المسلمين بثقافة الطفل بإقامة الكتاتيب ، وكيف كانت لغة الحوار بين الطفل والمعلم أو عالم الدين ، أمّا طفل اليوم فلا يوجد اهتمام به، وتُترك للنظريات والدراسات الغربية، فنجد بعض علماء المسلمين منفصلين تماماً عن واقع الطفل المسلم ومنغلقين على أنفسهم ليس لديهم دراية بما يحدث في العالم من تطور وتقدم وتقنية، وحديثهم ذو اتجاه واحد وبلغة آمرة ناهية مما أحدث فجوة بينهم وبين الطفل وجعله ينفر منهم، وأكبر دليل على ذلك فقدان المسجد دوره وتأثيره في تربية النشء " وسبق وأن اقترحتُ فترة رئاستي للجنة الأديبات الإسلاميات برابطة

1 - الضحى : 9.

الأدب الإسلامي مشروع إنشاء سلسلة لأدب الطفل المسلم وتنفيذ أفلام كرتون عربية إسلامية شكلاً ومضموناً إلا أنّ المشروع - للأسف الشديد - لم يجد من يخرجه إلى النور لأنّه لا يوجد من يلتفت لأهم عنصر في المجتمع وهو الطفل الذي يعتبر البنية الأساس لأي أمة تريد أن تزدهر.

ولأسف الشديد فإنّ أجهزة الإعلام على اختلافها مقصرة في حق الطفل ، وما تقدمه من برامج للأطفال لا يخاطب طفل هذا العصر ، وإنّما لازالت تخاطب طفل السبعينات والثمانينات من القرن الماضي ، ولذا نجدها لم تجذب الأطفال إليها ، لأنّها لم تحترم فكره ، ولم تتفهم احتياجاته ، ولم تقدم له ما يُنمي مداركه وقدراته ، وينمي حسه الأدبي واللغوي ، وخياله العلمي الذي يدفعه إلى الابتكار والاختراع. فهي تخاطب نفسها ، و ما يقدم للطفل في وسائل الإعلام تحت مسمى برامج تثقيفية للطفل بعيدة عن مسماها، وأكبر دليل هو عدم متابعة الأطفال لهذه النوعية من البرامج التي تستخف بعقول أطفالنا فمعظم برامج الأطفال العربية تخاطب نفسها، ولم تدرك أنّ طفل اليوم هو ابن عصر الإنترنت وثورة الاتصالات الرقمية وهو أذكى من معدي هذه البرامج، أمّا سبب قصور مضمون هذه البرامج فهو بعد معظمها عن الدين الإسلامي الذي اهتم بالطفل من قبل ولادته بحسن اختيار أبويه إلى وصيته بحسن اختيار اسم حسن له إلى جانب رعايته وتربيته، ممّا يؤكد أن موقف الإسلام من الطفل راق وسام جداً.

أمّا في مجال الكتابة للطفل ، فلازلنا نفتقر إلى أدب حقيقي للأطفال ؛ إذ يوجد عقبات جمة تعترض فن الكتابة للأطفال ،من هذه المعوقات عدم وصولنا إلى الآلية التي نخاطب بها أطفالنا لجهلنا بما يفكرون به ويتصورونه في مراحل نموهم المختلفة

، وفي عدم قدرتنا التوفيق بين فن الكتابة للأطفال ، وبين تحقيق الأهداف التي نسعى لتحقيقها من خلال فنون الكتابة التي نقدمها للطفل ، واللغة التي نخاطبه بها ، ونحن في حاجة إلى إعداد جيل من الأدباء يهتم بالكتابة للأطفال وسأحاول في هذه الدراسة المتواضعة أن أبين الكيفية التي نكتشف بها الموهبة الأدبية لدى الطفل ، وكيف نعمل على تنميتها ، ليكون لدينا جيل من الأدباء يحس بالطفل ويكتب له.

هذا وباعتبار اللغة هي مادة الكتابة للطفل ، ومادة التخاطب معه ، فلنتوقف قليلاً عند اللغة لنعرف ماهيتها فروعها الأساسية ، والكيفية التي يتعلم بها الطفل اللغة، وتنمية قدراته ومهاراته اللغوية ، ومن ثمّ ننقل إلى محور اكتشاف الموهبة الأدبية وتنميتها.

المؤلفة

حرر في الرياض 9 ربيع الثاني عام 1443هـ / 14 نوفمبر عام 2021م

الفصل الأول

ماهية اللغة

ماهية علم اللغة

علم اللغة ليس معناه دراسة لغة متخصصة ، وليس معناه دراسة اللغات الأجنبية، فعلم اللغة والعلوم الملحقة به، أو التابعة له، أو المتعلقة به ، علوم متخصصة تبحث في ضروب اللغة ، وفي فوائدها التطبيقية والعملية.¹

ويستخدم لكل من هذه العلوم مصطلحات وتعبيرات خاصة ، كما وضعت لكل منها معاجم خاصة تستخدم بقصد تسهيل وتقارب اختلافات المدارس واختلافات التعبيرات الخاصة المستخدمة في تركيب اللغات. وهناك تسميات مختلفة تطلق على علم اللغة مثل: اللسانيات اللغويات فقه اللغة.

الفروع الرئيسية لعلم اللغة

- 1- علم اللغة النظري، Theoretical Linguistics
أو ما يطلق عليه علم اللغة العام general Linguistics
- 2- علم اللغة التطبيقي Applied Linguistics
- 3- علم الأصوات اللغوية Phonetics

أولاً: علم اللغة النظري

ويطلق عليه أيضاً علم اللغة العام ، ويبحث هذا العلم في:

- نظرية اللغة ومناهج البحث فيها.
- رسم الأسس المنهجية لتحليل اللغوي من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.

¹ -صالح .د. محمود إسماعيل: علوم اللغة الحديثة. ماذا نعرف عنها؟، ص80/76، مجلة الفيصل العدد 18،

ذو الحجة 1398هـ / نوفمبر 1978م.

- بيان طبيعة العلاقات المؤثرة في وجود اللغة في المجتمعات الإنسانية .
- تطوير مناهج هذا العلم باستخدام الدقة العلمية للوصول إلى نتائج علمية.

فروع علم الأصوات

ويدخل "تحت علم اللغة النظري" مجموعة من المعارف المتعلقة باللغة أهمها ما يلي:

علم الأصوات بفروعه مثل:

-علم الأصوات النطقي Articulatory Phonetics

وهو العلم الذي يدرس مخارج الحروف وأعضاء النطق.

-علم الأصوات السمعي (الأكوستي) Acoustic Phonetics:

وهو العلم لذي يعني بدراسة موجات الصوت وكيفية انتقالها في الهواء ووصولها إلى السمع ،والعوامل المؤثرة في كل ذلك.

-دراسة النظام الصوتي في اللغات (الفونولوجيا)Phonology.

2-علم النحو grammar

ويدخل تحت هذا المسمى:علم الصرف أو ما يعرف ببنية الكلمة Morophlogy

والذي يعني بدراسة بنية الكلمة ، أو بتعبير أدق دراسة الوحدات الناقلة للمعنى أي الوحدة

الصرفية ، أو ما تعرف بالمورفيم Morpheme مثل الكلمة أو أجزائها وتصريفها، وعلم

نظم الجملة Syntax وهو الفرع الذي يدرس بنية الجملة وشبه الجملة وأنواعها ، أي أنّ

يدرس نظم الكلام.

3- علم اللغة التاريخي: Historical Linguistics

ويدرس هذا الفرع من علم اللغة تطور اللغات عبر القرون من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، كما يبحث في الأسر اللغوية، وارتباط اللغات المتقاربة النسب بعضها ببعض ، وأوجه الشبه والاختلاف بينها Language Typology وهو ما يعرف بالتأبولوجيا أي دراسة تصنيف اللغات على أساس نوعها¹.

علم الدلالة semantics

وهو يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ودلالته ، كما يدرس تطور معاني الألفاظ من الناحية التاريخية بما في ذلك تأثير المجاز اللغوي من كناية واستعارة الخ².

ثانيًا : علم اللغة التطبيقي: Applied Linguistic

ويدخل تحت هذه التسمية مجموعة أخرى من علوم اللغة أهمها:

1- علم اللغة النفسي Psycholinguistics

من الناحية النفسية تعتبر اللغة أحد مظاهر السلوك الإنساني ، واللغة ترتبط بالإنسان إلى حد كبير، وتميزه عن سائر المخلوقات ،وعلم النفس يختص بدراسة السلوك الإنساني ، ودراسة السلوك اللغوي يمثل أحد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس. وتعتبر المدرسة السلوكية في علم النفس Behaviourism ورائدها سكينر SKINNER من أهم المدارس التي قامت بدراسة السلوك اللغوي ، واعتبار ظاهرة اللغة كعادة سلوكية ،

¹ - منصور. د. عبد المجيد سيد أحمد . (1402هـ ، 1982م). علم اللغة النفسي ، ص 10. عمادة شؤون المكتبات _ جامعة الملك سعود . الرياض .

² - المرجع السابق : ص 10.

وقد زاد الاهتمام بالبحث اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين في أمريكا ، وتعتبر هذه الفترة من الفترات الزمنية التي زاد الاهتمام بالبحث اللغوي زيادة كبيرة حيث قامت فرق بحثية من اللغويين وعلماء النفس بالبحث بدقة وعمق في قضايا اللغة .

هذا وإن كان علماء اللغة يهتمون باللغة المنطوقة ، أو بالعبارات المنطوقة عند صدورها من الجهاز الصوتي للمتحدث ، وأثناء مرورها في الهواء ، وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها ، فإنّ العمليات العقلية التي تسبق صدور العبارات المنطوقة لا تدخل في إطار علم اللغة ، واهتمام اللغويين به ، قدر اهتمام علماء النفس .

وهناك تشابك كبير بين دراسة اللغة من الناحية الشكلية البحتة وبين دراستها من النواحي العلمية والإنسانية والاجتماعية الأخرى ، وليس هناك من علم لا يتصل باللغة.

إنّ علم اللغة النفسي يقع في الجانب التطبيقي من علوم اللغة ، وعلم اللغة النفسي ، أو ما يطلق عليه البعض علم النفس اللغوي يركز على أهم ظاهرة السلوك الإنساني ، وهي اللغة ، فهو يركز على قضايا اللغة من الناحية النفسية ، ومن المتفق عليه بين علماء النفس أنّ جانباً كبيراً من شخصية الفرد تظهر ملامحها ، ويمكن الحكم عليها عن طريق الكلام الذي يصدر عن الفرد وأقواله وسلوكه اللغوي بوجه عام ، حيث أنّ هذا السلوك يكشف عن عاداته اللفظية وأسلوبه في التعبير ، ويكشف عن شخصيته بوجه عام.

ويمكن التركيز على دراسة اللغة من الناحية النفسية على النحو التالي :

الأساس الفيزيائي والعضوي والعصبي للغة

وهو يتناول في دراسته الجانب الصوتي والمرئي للغة ، والحواس التي تنقل اللغة إلى الإنسان ، وهي حواس السمع والبصر واللمس ، والأخيرة لغير المبصرين ، كما يشتمل الأساس العضوي على النواحي البيولوجية والفسولوجية للغة ، إضافة إلى الأساس العصبي للغة عند المتحدث والمتلقي والقارئ. وعلى الأباء والأمهات أن يتأكدوا من سلامة حاستي السمع والبصر لدى أطفالهم منذ المهد ، حتى يتمكنوا من علاج أي قصور فيهما قبل أن يبلغوا سنناً يصعب العلاج فيها ، وعلى الأباء والأمهات الذين يعاني أطفالهم من عيوب في السمع أن يراجعوا مراكز السمع والنطق في المستشفيات أو العيادات الخاصة ، وأن يلتزموا بكل التعليمات التي تعطى لهم من قبل المختصين ؛ إذ يلاحظ قصور وعي الأهالي في مجتمعاتنا العربية بأهمية العلاج المبكر والمتابعة والالتزام بتطبيق كافة التعليمات التي تعطى لهم من قبل المختصين ، والحقيقة أنّ المختصين يعانون كثيراً من جهل الأهالي ، ومن إهمالهم ، لذا فالأمر يحتاج إلى حملة إعلامية مكثفة للتوعية ، كما على المراكز المهتمة بشؤون الأسرة والطفل أن تقوم بحملات توعية ، وأن تصدر النشرات والكتيبات التي تبين خطورة إهمال العلاج في سن مبكرة.

2. الأساس النفسي للغة

وهو يختص بالعمليات الذهنية المختلفة التي يتم فيها اكتساب اللغة منذ الطفولة ، وفي مدارج العمر التالية ، وتعلم اللغات الأجنبية بجانب اللغة الأم .

واللغة الأم أي اللغة الأصلية تعد من أساسيات علم اللغة النفسي ، فهي اللغة الأولى التي ينطق بها الطفل في المراحل المبكرة من العمر ، والتي تؤثر في عملية اكتسابها مؤثرات بيولوجية وفسولوجية ونفسية واجتماعية.

كما أن تعلم اللغات الأجنبية إلى جانب اللغة الأصلية أمر جد هام في علم اللغة النفسي ؛ إذ أنّ مجالات البحث في ذلك تختص بالعوامل المخلفة المؤثرة في تعلم اللغات ، والتي منها عوامل داخلية وخارجية ومساعدة ومعوقة .

هذا بالإضافة إلى أنّ الاضطرابات اللغوية الخاصة بعيوب النطق والكلام نتيجة إصابة بعض أجهزة النطق أو في المراكز العصبية بالمش ، هذه الاضطرابات اللغوية تعتبر جانباً مهماً من جوانب الدراسة في علم اللغة النفسي ؛ إذ أنّ هذه الاضطرابات تؤثر من الناحية النفسية على شخصية الفرد¹ . هذا وإن كانت بعض عيوب النطق والكلام مثل البطء أو "التأتأة" في الكلام ، أو "اللداغة" في بعض الحروف يرجع . في رأيي . إلى عوامل نفسية ،مثل "الخوف" في التأتأة و"الدلع" في "اللداغة" ، أو "التشجيع" على الاستمرار في "اللداغة" ، بإبداء الإعجاب والضحك من قبل الأهل ، وهم يسمعون الطفل ، وهو ينطق الحروف نطقاً غير صحيح ، وتشجيعه على ذلك بتريدهم لما يقوله ، وتحديثهم معه بلغته دون محاولة منهم تصحيح نطقه للحروف وتدريبهم له على نطقها الصحيح بإخراجها من مخرجها الصحيح ، ولكن عندما يكبر يشعر بجرح كبير ، وهو ينطق الراء لأمأ أو ياءً ، والزاي ذاءً ، والسين ثاءً ، ولا سيما إن كان يحتل منصباً كبيراً ، ويتطلب منه أن يكون خطيباً أمام محافل دولية ، وجماهير كبيرة، فعلى الآباء والأمهات

¹ - منصور . د . عبد المجيد سيد أحمد . مرجع سابق . ص 16،17.

أن يراعوا هذا ، وأن يهتموا بتدريب أطفالهم على نطق الحروف نطقًا سليماً ، كما عليهم أن لا يخيفوا أطفالهم حتى لا يتأتوا في الكلام ، بل عليهم أن يهيئوا لهم كل الأجواء التي تساعد على الكلام ، والتي تعلمهم أسلوب الحوار بين الآخرين ، آدابه وأصوله وأسسها ، وذلك بفتح قنوات الحوار بينهم وبين أطفالهم ، ليتعلموا كيف يستمعون للآخرين بإنصات دون مقاطعة ، ودون مجادلة ، ورفع صوت ، ومتى يتكلمون؟ ، فغالبيتنا للأسف الشديد يفتقر إلى تعلم أصول وقواعد الحوار ، وأغلب حواراتنا التي نشاهدها ونستمع إليها في برامج الإذاعة والتلفاز عبارة عن صياح وصراخ ، وذلك يرجع . في رأيي . إلى افتقارنا إلى لغة الحوار في بيوتنا ، فالآباء والأمهات في الغالب لا يحاورون أبناءهم وبناتهم ، وإنما يكتفون بإصدار الأوامر لهم ، وكذلك الزوجان لا يتحاوران معاً حواراً علمياً عقلاً بل لمناقشة مشاكل الأسرة وكيفية علاجها ، وإنما يتصايحان ويتخاصمان وفي الغالب أمام أولادهم ، مما يؤثر سلباً على أخلاقياتهم وسلوكياتهم وحالاتهم النفسية .

علم اللغة الاجتماعي

أو العلاقة بين علم اللغة وعلم الاجتماع ، فمن الناحية الاجتماعية نجد الباحثين في العلوم الاجتماعية أفادوا من نتائج البحث اللغوي من عدة جوانب باعتبار أن اللغة تعد من أهم مظاهر السلوك الاجتماعي ، كما أنها تعتبر أوضح سمات الانتماء الاجتماعي للفرد ، هناك أمثلة كثيرة على ما أفادت به الدراسات الاجتماعية اللغوية مثل:

- 1- أن دراسة الألفاظ ودلالاتها تتم في إطار اجتماعي وحضاري .
- 2- أن التغيير اللغوي لا يفسر إلا في ضوء من الظروف الحضارية والاجتماعية .

3- أنّ المواقف الاجتماعية تؤثر على مستويات اللغة ، وهذه المستويات اللغوية تحدد مسار التغيير اللغوي الذي يحدث في مجتمع من المجتمعات .
من هنا نجد أنّ كثيراً من المفردات اللغوية تستبعد من لغة الكلام الفصحي والدارجة نتيجة التغيرات الاجتماعية والحضارية التي تطرأ على المجتمعات ، فما كان يكتبه الجاهليون مثلاً في أشعارهم من ألفاظ ، أصبحت في عصرنا الراهن لا يتداولها الشعراء المعاصرون في شعرهم ، وأسلوب الكتابة الذي كان سائداً في العصر العباسي مثلاً ليس هو نفس الأسلوب المستعمل حالياً في لغة الكتابة ، بل الحياة الاجتماعية والتطورات الحضارية الحديثة استحدثت لغة جديدة في الكتابة لم تكن معروفة من ذي قبل ، وهي لغة الصحافة .

والذي أريد أن أقوله إنّ الوسط الاجتماعي والوسط الثقافي والحضاري الذي يعيش فيه الفرد ، والطريقة التربوية التي تربي عليها هي التي تحدد لغة هذا الفرد ، والمفردات والألفاظ التي يستخدمها في خطابه مع الآخرين ، بل تحدد نوعية وكيفية الخطاب الذي يخاطب به الآخرين .

فإن نشأ الطفل في وسط اجتماعي يتكلم بطريقة سوقية، ويتلفظ بألفاظ نابية فإنّه سيتحدث بطريقةهم ويتكلم بلغتهم .

وإن نشأ في وسط اجتماعي راق مثقف فلن يتلفظ البتة بألفاظ سوقية نابية ، ولن يرفع صوته عندما يتحدث ، ولن يقل أدبه في الحديث مع أبويه أو أساتذته أو من يكبرونه سنّاً ، ولن يجادل أترابه وأقرانه ويتصايح معهم إن اختلفوا في وجهات النظر أو في الرأي تجاه قضية ما .

ومما يؤسف له حقًا أننا نجد آباء وأمّهات مثقفين ، ولكن يعلمون صغارهم منذ نعومة أظافرهم ألفاظًا في غاية من القبح والسفاهة في القول ، ويبدون سعادتهم عندما يتلفظ بها صغارهم ، بل يجعلون ذلك محط اهتمامهم وجلساتهم العائلية مع الآخرين؛ إذ يجعلون هذا الطفل أو الطفلة هو ضيف الجلسة التي يتسامرون عليها ويضحكون على ما يتلفظ به من ألفاظ رغم قبحها وفضاظتها غير مبالين بما سينشأ عليه من التلفظ بقبيح الألفاظ وفحشها؛ إذ سيتعود لسانه عليها ، وإن حاول أن يتخلص منها ، ولكن لا يستطيع أن يتخلص منها إن غضب أو استغز بقول أو تصرف ؛ إذ نجده دون أن يشعر تخرج منه كل تلك الألفاظ التي تعلمها وتلفظ بها في الصغر ، فعلى الآباء والأمّهات أن يتنبهوا إلى خطورة هذا ، وأن يكونوا مهذبين في مخاطبة صغارهم ، وفي تعليمهم لغة الكلام والخطاب ، وإن التقط أطفالهم ألفاظًا نابية من أقرانهم فعليهم أن ينبهوهم أن تلك الألفاظ لا يليق بهم النطق بها ، وأنّها تخرج بهم عن حدود الأدب ، وعليهم أن لا يتلفظوا بها ثانية ، وأنّ يتجنبوا اللعب والكلام مع الذين يتلفظون بها .

الفصل الثاني

كيف يتعلم الطفل اللغة

كيف يتعلم الطفل اللغة؟

يرى أحد علماء اللغة وهو "جسبرسن" أنّ المرحلة الأولى لنمو لغة الطفل هي مرحلة الصياح ، وهي تعد في الواقع البداية الحقيقية للغة بالنسبة إلى الطفل الوليد ، وليس الصياح في مستهل حياته صياحًا بالمعنى المفهوم ، وإنّما هو أصوات تصدر عن الوليد نتيجة ضغط الهواء الداخل إلى الرئتين لأول مرة في محاولة لإيجاد توازن بين درجتي الضغط داخل الصدر وخارجه ، ويحتك الهواء أثناء دخوله بجدار الحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتين ، وحينئذ تبدأ الحنجرة عملها مع خروج الهواء فتكون الصرخة الأولى التي نفسرها نحن بأنّ الطفل يبكي، وهو في الحقيقة يمارس أول ألوان نشاطه الحيوي بشهقات وزفرات تدل على حياته¹.

ولو أنّ الطفل نزل صامتًا لفلنا كل ممكن ، بل كل مستحيل في سبيل استخراج هذه الصرخات منه عقيب ولادته ، بل إنّ الأطباء يوصون الأم دائمًا ألاّ تتبالغ في رعاية الطفل بمحاولة إسكاته كلما صرخ ، لأنّ لهذا الصراخ فضلًا عن كونه تعبيرًا غريزيًا يلجأ إليه الطفل كلما شعر بألم ، أو أحس بحاجة فائدة هي تقوية الرئتين بتشغيلهما على نحو نشيط ، وتشغيل الحنجرة بتنشيط الأوتار الصوتية ، ومن ثمّ تنشيط المراكز العصبية الموجودة في هذا الجزء الحساس الدقيق ، وذلك يفيد الوليد فائدة كبيرة ؛ ولذا يفضل أن يكون اهتمام الأم في هذه المرحلة بتقصي أسباب الصراخ ، ثمّ محاولة التخفيف من حدتها ما أمكن ، دون أن يكون إسكات الوليد هدفًا أساسيًا في كل حال.

¹ - شاهين .د.عبد الصبور . (1404هـ . 1984م) في علم اللغة العام، ص 85، ط . 4، مؤسسة الرسالة .

والطفل في هذه الرحلة من الصياح لا ينطق أصواتاً مميزة ، وإنما يقتصر على ترديد ما يشبه الحركة المعروفة لدينا بالفتحة ، مع شئ من الأنفية أحياناً ، وقليل من الاحتكاك بأقصى الفم أحياناً أخرى حتى تختلط بما يشبه الغين ، ومن هنا سميت "مرحلة المناغاة" فكلمة "المناغاة" هي في الحقيقة نسيج صوتي فيما نرى مكون من الأصوات الثلاثة التي ترد في صياح الوليد ، وهي التي تتمثل في اختلاط الفتحة لديه بشيء من الأنفية ، يقربها من صوت النون ، وقليل من الاحتكاك يدينها من الغين ، وليس في الفعل "ناغى" سوى هذه الأصوات الثلاثة ، محملة بدلالاتها ، وإمكاناتها الاشتقاقية ، ولعله في تقدير أصل الفعل " لاغى يلاغي " ، والمعنى في كليهما : أصدر أصواتاً للمناغاة أو للملاغاة ، واللام والنون يتبادلان المواقع في اللغة العربية.

ومع تقدم سن الطفل يتقدم نموه اللغوي إلى المرحلة التالية ، وهي المرحلة التي سماها "جسبرسن" "مرحلة البأبة" ، وإنما أطلق عليها هذه التسمية لسبب بديهي وبسيط هو أنه قد لوحظ أنّ أول صوت يلعب به الطفل في بدء نضجه هو الباء . كان ذلك بالنسبة إلى جميع الأطفال بلا استثناء . ولقد يحدث أن يأتي الطفل بأصوات أخرى مع الباء ، مثل التاء أو الميم أو الحاء أو الخاء ، أو الكاف ، ولكن المهم أن ينطق بالباء أولاً ، فإذا لاحظ من حوله أنه أتى بهذا الصوت المحبب بادرُوا إلى تشجيعه ، وأخذوا يرددون له هذا الصوت ترديداً مستمراً¹.

¹ -المرجع السابق . ص 86.

ومن فضل الله على الإنسان أن سخر له أمه التي تصر على ترديد الأصوات التي ينطقها طفلها في هذه المرحلة ، ومحاولة إقحامها في كل موقف ، والتغني بها في كل لحظة ، وهي بهذا تعمل على تنمية قدرات الطفل اللغوية والعقلية بوجه عام ، ولولا ذلك لما أحرز الطفل تقدمه اللغوي بسهولة¹. والمهم أنّها تتلقف هذه المقاطع الصغيرة من فم الطفل ، فتحاول أن تخلع عليها بعض الدلالات البسيطة ، وتحاول أيضاً أن تثبتّها في ملاحظة الطفل ، كلما ردها ، وتلعب بها ، بل تحاول أيضاً أن تتطرق له بعض المقاطع الأخرى التي ربما تكون قد تأخرت لديه ، وذلك يعني أنّ الطفل قد بدأ يستخدم جانباً من إمكانيات جهازه الصوتي ، على أنّ للطفل في هذه المرحلة التي تبدأ غالباً من الشهر السادس بعض الأصوات الانفعالية التي يعبر بها عن رضاه ، أو ألمه أو حاجته ، وهو يربط بين الصوت وما يلاحظ من اهتمام من حوله بتحقيق رغباته الغريزية ، فيظل يكرر هذه الأصوات في نفس المناسبة ، وكلما أحس بضرورة نطقها لتحقيق رغبة ، أو إشباع حاجة².

ولقد يحدث أن يصدر الطفل في هذه المرحلة بعض الأصوات التي تعبر عن سعادته ، حين يسمع أمه تغني له مثلاً : (يا حبيبي ننا نام ، وادبح لك جوزين حمام) وتظل تنغم له هذه الجملة اللطيفة مع شيء من الإيقاع الرتيب ، كأنّما يشاركها أنشودتها ، ثمّ يغرق في سبات هادئ لذيذ من المقاطع التي تتكون لدى الطفل في هذه المرحلة تتخذ لغته الصغيرة في المرحلة التالية "مرحلة الكلام" أدواتها

¹ -المرجع السابق . ص 86.

² -المرجع السابق. ص 87.

الصوتية المعبرة، فهو جيد حينئذ نطق مقاطع معينة، وهو يلصق بهذه المقاطع شحنات من المعاني التي لا يظن الشخص العادي أنّها لازمة لها ، ومع ذلك يفهمها أهل البيت.

هذه المرحلة التي أطلق عليها "جسبرسن" (مرحلة اللغة الصغيرة) ، هي أهم المراحل في نمو الطفل اللغوي ، لأنّه يتهيأ آنذاك لتقليد من حوله في كلماتهم وإشاراتهم ، و تصرفاتهم ، ولقد يأتي من حركات هذا التقليد بما يضحك له الكبار ويستظرفونه منه ، ومع ذلك قد يكون هذا الاستظراف من علامات الخطر على نمو الطفل اللغوي ، وذلك في حالة ما إذا دأب الكبار على تأكيد نقص الطفل اللغوي ، فيشجعونه على مواصلة ظرفه ، ويتجه هو بفعل هذا التشجيع إلى تثبيت نواحي نقصه ، فيشب وتشب معه هذه النقائص الصوتية ، أو بعبارة أصح :الأمراض الكلامية التي لم تكن في مبدئها سوى انحرافات بسيطة ، كبرت مع الزمن ، ومع غفلة الكبار ، أو جهلهم.

والسلوك الطبيعي الواجب في هذه المرحلة ألاّ يقلد الكبير الطفل في أداء مقاطعه ، بل يحاول أن ينطق أمامه نطقاً سليماً غاية السلامة لتأكد في سمعه وفي وعيه النماذج الصحيحة ، ويطمح هو بدوره إلى محاكاتها ،ف يتقدم مع كل محاولة للمحاكاة خطوة في طريق نموه اللغوي السليم ، وتطوره نحو اللغة المشتركة، ومن الصعوبات التي يواجهها الطفل في هذه المرحلة أنّه ينطق بعض الأصوات نطقاً خاطئاً ، وهو خطأ ناشئ عن إدراكه الكلي لمجموعات الأصوات المتشابهة ، فهو يتصور الثاء والسين والشين والصاد بكيفية واحدة ، فينطقها جميعاً صوتاً أسنانياً "

ثاء" ، وهو يخلط بين اللام والراء فيوحدهما في صورة اللام ، وهولا يستطيع أن يؤدي صوتاً مفخماً ، بل يحاول أن ينطق المرقق دائماً ، فالضاد دال ، والطاء تاء ، والصاد ثاء ،"هي في الأصل سين ، والطاء ذال ،و هكذا ، ومن الخطأ أن يغفل الأبوان عن محاولة تصويب نطق الطفل في هذه المرحلة المبكرة، لا سيما المواقف الانفعالية التي تشد الطفل إلى محاكاة الكبار ليصبح مثلهم كبيراً ، أو ليرضيهم ويظفر بالحلوى أو القرش ، وهكذا ...

ولقد يسهل عملية التصويب أن يدرك الأبوان ، ولو بصفة عامة بعض الأفكار عن آلية النطق ، فيسلكان في توجيه طفلها مسلماً مفهوماً ، وممكنًا دون تهويل أو تضخيم للمشكلة.¹

نتائج الدراسات المختلفة للنمو اللغوي للطفل

هذا ونستنتج من الدراسات المختلفة للنمو اللغوي للطفل الآتي:

- 1- إنَّ صيحة البكاء الأولى للطفل لها أهميتها في أنَّها أول خبرة تستعمل فيها الأعضاء الصوتية ، كما تسمح للطفل أن يسمع نفسه.
- 2- يجمع الباحثون على أنَّ الأصوات الأولى التي يخرجها الطفل عبارة عن أفعال منعكسة ، وأنَّها خالية في بداية الأمر من أي معنى ، وتتخذ الأصوات المختلفة معانٍ مختلفة بالتدرج نتيجة لتفاعل الطفل مع من حوله .

1 . 1 -المرجع السابق. ص 89..

- 3- ويجمع الباحثون على أنّ الأصوات الأولى للطفل عبارة عن حروف الحركة مثل آ ،أ ، أي أنّ حروف الحركة هي الحروف الأولى التي تظهر في أصوات الطفل.
- 4- أنّ أول حروف ساكنة تظهر في أصواته التي يخرجها هما الحرف م ،والحرف ب، وتكون وظيفة هذين الحرفين هي تعديل أصوات الحركة.
- 5- وتؤكد هذه الدراسات أنّ حروف الشفة من الأحرف الأولى التي تظهر ضمن أصوات الطفل حين يضم شفثيه لإخراج الحرفين ، ب ، م .
- 6- لا تظهر أصوات الحروف المتحركة التي تخرج من متوسط الفم ، أو من مؤخرته إلاّ في بداية الربع الثاني من السنة الأولى أي حوالي الشهر الرابع ،ولذا يبدو أنّ الحروف المتحركة تتدرج في الظهور من الأمام إلى الخلف ؛ إذ تظهر حروف الشفة أولاً، ثمّ حروف وسط الفم ،ثمّ حروف مؤخرته.
- 7- - يكون متوسط محصول الكلمات عند الطفل في الشهر الحادي عشر ما بين ثلاث كلمات أو أربع ، ثمّ يزداد محصوله اللغوي بسرعة زائدة في السنوات التالية حتى يصل إلى ما يقرب من 2500 كلمة في سن السادسة.
- 8- كثيراً ما يفهم الطفل معاني كلمات وجمل دون أن يستعملها مادام يسمعها من الآخرين.¹

تحصيل معاني المحسوسات لدى الطفل

من أول ما يحصله الطفل معاني المحسوسات لا سيما معاني الكلمات الدالة على أعضاء الجسم الإنساني ، وعلى الأدوات والموضوعات التي يستعملها ، ثمّ يحين

¹ -جلال .د.سعد جلال: الطفولة والمراهقة ، ص 190،191،مكتبة المعارف الحديثة الإسكندرية، دار الفكر العربي .
القااهرة،1985م.

وقت يدرك فيه أنّ كلمة "عين" مثلاً تدل على هذا الجزء من جسمه ، وأنّ "البن" تعني هذا الذي يرضعه ، وأنّ حمار تدل على هذا الجسم الذي يراه من وراء نافذته ، ويسع نهيقه . ولكن تحصيل هذه المعاني الحسية نفسها يستغرق منه وقتاً ، فهو قد يسمي كلاً من الخروف والبقرة والحصان "حماراً" ، وقد يطلق على أنفه كلمة "عين" ، ولكنه عندما يتحقق من أنّ العين "عين" ، نراه يطلقها على "عين" أمه أو أخته ، وعلى عين زائر من الزوار ، بل قد يوسع ذلك فيطلقها على عين "القطّة" و"عين" الديك مثلاً . ولكن تعلم الطفل للمعنى لا يستمر على هذه الصورة البسيطة ، فإنّه يسمع استعمالات لبعض الكلمات توقعه في الحيرة ، إنّه يسمع استعمالات مجازية لبعض الكلمات التي تعلمها للدلالة على بعض أجزاء الجسم الإنساني أو بعض الأدوات والموضوعات ، وقد تكون الصلة قريبة بين الاستعمالات المجازية وبين تعلمه أولاً ، وقد تكون بعيدة، إنّه تعلم أنّ الرجل هي ذلك الجزء من جسمه ، ثمّ يسمع أمثال "رجل الكرسي" ، و"رجل المنضدة" . و"عين" إنّه يسمع عبارات مثل "عين الإبرة" أي هذا الثقب الذي يدخل فيه الخيط ، "عين الجمل" إذا كان قاهرًا بمعنى "الجوز" ، وإذا كان ليبيًا فهو يسمع "عين المارة" للدلالة على موضع بعينه.

الخلاصة

أنّه لا قدرة للطفل في هذه السن على التمييز بين الوظائف المختلفة لعالم الحيوان والنبات والجماد ، ومما يسهل عليه قبول هذه الاستعمالات المجازية أنّه يرى أنّ كل شيء حوله حي ، لكل شيء حوله روح ، فمن اليسير عليه أن يتقبل أن يكون لكل شيء أذن وأنف وفم، بل إنّه أحياناً ليبدأ بالسؤال عن "لسان النفاحة" ، وهو قد

يتصور أنّ البرتقالة تراه وتسمعه. وكثيرًا ما يستغل الآباء هذه الظاهرة للسيطرة على الطفل ، ولتخويفه وضمان طاعته ، فنحن نقول إنّ "العصفورة" قالت لي عنه كذا وكذا ، وإنّها تخبرنا بكل ما يفعله ، وبكل ما يدور في نفسه. وهكذا يرتفع المجاز إلى مستوى الأسطورة ، ولكن الأطفال لا يلبثوا أن يدركوا هذه "الأكاذيب في" سن مبكرة¹ ، ولا سيما أطفال هذا الجيل ، وللأسف أنّ الكثير من كتب الأطفال التي تنتجها مكتبات الأطفال اليوم ، وكذلك برامج الأطفال المسموعة والمرئية قائمة على هذه الأساطير التي كان الطفل قبل عقدين أو ثلاثة عقود يصدقها ، ولكن طفل اليوم من اليقظة والوعي ما جعله لا يستهويه هذا الأسلوب في مخاطبته ، فإدراكه يفوق هذا الأسلوب في لغة التخاطب ، وعلينا أن نبتكر طرقًا جديدة في مخاطبة أطفالنا تتفق مع مستوى ما وصلوا إليه من تفكير ، والذي أراه أنّ أطفال اليوم عقولهم وما يفكرون فيه يفوق سنهم.

النمو اللغوي وثقافة الطفل

لا يتوقف اكتساب اللغة على عملية النضج وحدها كما هي الحال في بعض مظاهر النمو ، ولكنه يتوقف على الوصول إلى مرحلة من النضج معينة حتى يستطيع الطفل الكلام ، كما أنّه لا بد أن يستمع الطفل إلى الكبار أثناء تطور هذه الأعضاء حتى يتمكن من تعلم اللغة، وتتمكن أعضاء الكلام من القيام بوظيفتها .

واكتساب اللغة أمر ضروري ؛ إذ يساعد على فهم رغبات الآخرين ، كما يساعد على مد الطفل بثروة من المعلومات عن العالم المحيط به ، والتي لن يحصل عليها

¹ - السعران . د.محمود السعران:علم اللغة . ص 297،298. دار الفكر العربي ،مصر.

دون فهمه واستخدامه للغة ، كما تساعده اللغة على التعبير عن أفكاره وحاجاته ورغباته ، ولا يغفل أهمية اللغة كأداة تمكن الشخص من الوصول إلى مستوى معين في مراحل تعليمه ؛ إذ لا بد للطفل من إجادة اللغة المتداولة في الكلام قبل دخوله المدرسة حتى يتمكن من السير فيها ، ويعجز كثير من الأطفال لسبب ما عن ذلك فيجدون صعوبة في السير سيرًا عاديًا في حياتهم الدراسية. وكلما تعلم الطفل الكلام سريعًا ساعده ذلك على التفاعل الاجتماعي ، وجني ثمار التفكير .

ومما لا شك فيه أنّ ثقافة الطفل تساعد على النمو اللغوي لديه ، وزيادة مفرداته ، كما تساعد على تنمية قدراته ومهاراته ، بل تساعد أيضاً على اكتشاف مواهبه .

إنّ الطاقات الابتكارية تحتاج إلى الرعاية منذ الطفولة وخلال المراهقة إلى الرشد ، فالبذرة الصالحة لا تستتبت إلاّ في أرض طيبة ، وجو ملائم ، وكذلك الطاقات الخلاقة الكامنة في أطفالنا وشبابنا تحتاج إلى التلاحم مع أرضنا أو أهلنا وتراثنا الثقافي لكي تنمو وتترعرع ، ولكنه تحتاج في نفس الوقت إلى قدر من حرية التجريب الشخصي لتسهم بنصيبها في تطوير قيمنا الثقافية¹.

والمقصود بثقافة الطفل أو الأطفال هو رعاية تلقائية الناشئين في التعبير عن شخصيتهم النامية ، وحفز طاقاتهم الخلاقة الكامنة، بحيث تتلاحم مع الواقع ، فيبدعون منجزات تجسد آمالهم وأفكارهم ، ووجداناتهم المتفتحة في إطار هذا التصور ، وعليه تكون أنواع النشاط التي يبتكرها الأطفال والأشغال التي ينجزونها ؛

¹- فهمي. سمية أحمد . (1979م) علم النفس وثقافة الطفل. ص 31،30. ط2. مكتبة الأنجلو المصرية.

مستخدمين مواد بيئتهم وأساليب تراثهم الثقافي تعبر بحرية عن تجاربهم الشخصية في العالم المحيط بهم عن خلجات وجدانهم إزاء الأحداث التي تقع لهم ، عن تخيلاتهم ورغباتهم ومشكلاتهم ، وما يرونه من حلول لهذه المشكلات ، فالألعاب التي يخترعونها ، والأناشيد التي يؤلفونها ، والرقصات التي يبتكرونها ، والقصص التي يتخيلونها ، والرسومات التي يصورونها ، والمسرحيات التي يبدعونها ، وغير ذلك من الأنشطة والمنجزات التي يزاولونها بأوسع قدر من الحرية والتلقائية ، هذه جميعها هي التي تشكل ثقافتهم ، لأنها تتضمن نظرتهم إلى الحياة ، وأسلوبهم في مواجهة الأحداث ، كما تجسد المعاني التي لها قيمة بالنسبة لمرحلة نموهم¹.

الأسس التي تستند عليها ثقافة الأطفال

مما لا شك فيه أنّ هناك أسساً يستند عليها في توجيه ثقافة الطفل وتنميتها، وهي تتلخص في الآتي:

1. الحرص على تنمية القيم الثقافية التي ترتكز عليها أمتنا الإسلامية، وهذه القيم تتحقق بعمليتين متكاملتين ملازمتين ، الأولى : عملية تجريبية استكشافية إبداعية تعبر عن منجزات تعكس معانٍ وقيماً معينة ، لعملية الثانية : عملية تلقي القيم والمعاني وتذوقها وترويجها في الممارسات المعيشية والمعاملات الحياتية ، فبعض الأفراد يتميزون بالقدرة على الإبداع والابتكار ، والبعض الآخر يتميز بالقدرة على التذوق والتطبيق ، ولا غنى لإحدى الفئتين عن الأخرى فلا ثقافة دون ابتكار ، ولا حياة لابتكار لا يمارسه أفراد المجتمع

¹ -المرجع السابق. ص 31.

ويصونونه في طرائق حياتهم ، ومما ينبغي ألا يفوتنا أن كلا الفئتين ، بل إن جميع أفراد المجتمع يحتاجون إلى تعلم خبرات السابقين .

2. الحقيقة الثانية : هي أن حياة الكائن البشري عملية متصلة من النمو والترقي ،

نتصور أنها تجتاز مراحل متعاقبة منذ الولادة إلى الطفولة المبكرة ، إلى المراهقة ، فالرشد فالشيخوخة ، يضبط عملية النمو والترقي ويسيرها تفاعل إمكانيات الفرد الفطرية مع مؤثرات البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها .

3. والحقيقة الثالثة : هي أن الطفل ينمو ويترقى في مجتمع يتبنى نسقاً متميزاً

يعكس قيماً خاصة في عاداته وأنظمته ، ومؤسساته ، ولغته ، وأدواته ، فالأسرة تربي الطفل وتوجهه وفقاً للقيم الدينية والثقافية التي نشأ الوالدان في كنفها ، والمدرسة تعلم الطفل الأدوات التي تمكنه من الاطلاع على ما تقوم عليه عقيدته الدينية ، وتراثه الديني والثقافي ؛ فتعلمه القراءة ، والكتابة ، والحساب ، بحيث يتمكن من قراءة القرآن الكريم ، وقراءة الحديث النبوي الشريف ، ومن فهم المعلومات الجغرافية والتاريخية والعلمية المدونة في الكتب ، ولكن للأسف الشديد فإن الطريقة المتبعة حالياً في تعليم الطفل في مدارسنا قائمة على الحفظ والتلقين ، التي تعبر عن قيماً ثقافية معينة قائمة على الامتلاك والتخزين والتكديس والتسلط على الشخصيات النامية والحيلولة دون تنمية قدراتها على الإبداع والابتكار ، وكأن هناك توجساً من التجريب والاستكشاف ، والإصرار على الحفظ والتلقين يستمر حتى في المراحل الجامعية ، بل حتى في مراحل الدراسات العليا ؛ إذ لا يزال بعض أساتذة الجامعة ، وأقسام الدراسات العليا يلزمون طلبتهم بالحفظ الصم لمذكراتهم ، وإن

عبّروا في إجاباتهم بأسلوبهم الخاص تنخفض تقديراهن لتصل إلى المقبول ، مع أنّ إجاباتهم صحيحة في مضامينها العامة .

4. أمّا الحقيقة الرابعة التي يجب وضعها في الاعتبار ونحن نضع أسس ثقافة الطفل أن نساعد الطفل على التدرج في الاعتماد على نفسه في قضاء حاجاته، فمن خصائص الترقى النفسي للطفل أنّه يتدرج من الاعتماد الكلي على الوالدين في قضاء حاجاته إلى الاستقلال النسبي الذي يتيح له نمو قدراته وتمايزها ، وتفتح وجدانه ونضوجه ، فإذا هيئت له الفرص المناسبة ، وسمح له بتجربة طاقاته الخلاقة ، انطلق إلى استخدام مواد بيئته في إبداع أعمال تتجلى فيها كيفية إدراكه لهذا العالم ، والرغبات التي تختلج في وجدانه ، وتخيلاته الدفينة ، والمشكلات التي تحيره ، وغير ذلك ممّا لا يستطيع التعبير عنه بلغة البالغين، والفائدة التي نخرج بها من خلال كل هذه الأعمال، هي أنّنا نستطيع من خلال المنجزات الإبداعية الحرة التي ينجزها الطفل أن نستكشف صميم شخصيته النامية¹.

ومن خلال هذا الاكتشاف نستطيع أن نضع أيدينا على مواهبه وعلى قدراته ، فنعمل على تتميتها وصلها وتوجيهها التوجيه العلمي السليم. فإن كان يمتلك موهبة علمية ، ولديه قدرة على الاختراع نوجهه إلى ذلك ، وإن كانت لديه موهبة شعرية أو قصصية أو نقدية نوجهه إلى ذلك ، ونجعل دراساته تتفق مع ميوله وموهبته.

¹ -المرجع السابق .ص 26-29 بتصرف.

ثقافة المراهقين

وما يقال عن مفهوم ثقافة الطفل يقال أيضاً عن مفهوم ثقافة المراهقين ، فالجماعات التي ينظمها المراهقون ، ويديرونها بأنفسهم ، والمشروعات الرياضية والفنية ، والاستكشافية والاجتماعية التي ينجزونها بمجهوداتهم ، واليوميات التي يكتبونها ، والقصص التي يؤلفونها ، والشعر الذي ينظمونه ، والمناقشات الدينية والسياسية التي يعقدونها هذه جميعها ، وغيرها من الأنشطة والمنجزات التي تصدر عن ذواتهم بأمانة وحرية هي ثقافتهم ، لأنها تفصح عن آمالهم وطموحاتهم ورؤاهم ، ولأنها تجسد قيمهم ومثلهم ، لذا فلا بد من الاهتمام بإنشاء مراكز ثقافة الناشئين ، وتزويدها بالمختصين والمختصات في علم النفس، وعلم الاجتماع ، وعلم التربية والتعليم حسب المراحل العمرية، ويتم تبني الموهوبين والموهوبات وتوجيههم إلى المراكز المختصة برعاية الموهوبين، هذا ويلاحظ عدم وجود مراكز لرعاية الموهوبات في المملكة العربية السعودية ، فهذه المراكز تقتصر على الذكور فقط ، وينبغي أن يوجه ذات الاهتمام للموهوبات من الإناث.

تعليم الأداء

لقد احتلت اللغة المتكلمة في الوقت الحاضر مكاناً لم تعرفه من قبل . ويرجع الفضل للمخترعات المتعددة كالهاتف والمذياع والتلفاز ومكبر الصوت والفيلم الناطق وأجهزة التسجيل ، ممّا جعل اللغة المتكلمة تحل محل اللغة المكتوبة أكثر فأكثر.

والواجب على المرء أن يعرف كيف يتكلم ، و يتكلم بطلاقة لكي يصل إلى جمهوره ، ويحقق النفوذ الذي يبغيه ، وطريقة نطق الإنسان لم تعد أمراً خاصاً بالمتكلم ،

وإنما هو أمر متعلق بكل من يستمع ،سواءً كان المتكلم سياسياً أو عالماً أو فناناً أو ممثلاً رسمياً ...ولم يعد الجمهور السامع . كما كان في الماضي . تجمعاً صغيراً من الأصدقاء ، أو الأقارب أو الجيران يتجمعون في كل مكان صغير ، فالجمهور الآن قد يكون آلافاً أو ملايين.

إنَّ الأداء وهو فن النطق ، قد احتل مكاناً هاماً في التعليم الحديث ، وسوف يأخذ ولا شك اهتماماً أكثر فأكثر ، وعلم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأي تعليم من هذا النوع.

وعلم تصحيح النطق يعطي اهتماماً بمعرفة أسباب عيوب النطق سواءً كانت خصائص نطقية ، أو أمراضاً في النظام العصبي المركزي ، أو نقصاً في السمع . ولكن تناول الظواهر الصوتية المرضية يفترض معرفة مسبقة بعلم الأصوات اللغوي.¹

أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية القدرات الفكرية واللغوية

من واقع تجربتي مع طالبات المدارس النسوية للجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة، وذلك في فترة رئاستي لهذه المدارس على مدى ثمان سنوات ،سأوضح لكم أثر القرآن الكريم في تنمية القدرات الفكرية واللغوية.

من خلال المقابلات الشخصية والامتحانات التحريرية التي كنت أجريها للطالبات المتدمات للدراسة في دورات إعداد معلمات القرآن الكريم ، ومعهد الدراسات القرآنية --الذي كنتُ قد تقدمت للمسؤولين باقتراح لإنشائه ، وأيضاً وضعت موادّه ،

¹ -عمر . د.أحمد مختار عمر (1405هـ / 1985م) دراسة الصوت اللغوي . ص 348،349 ط 3. عالم الكتب ..القاهرة.

ومفرداتها ، وتمت الموافقة عليه ، وبدأتُ أعد الطالبات للدراسة في هذا المعهد بتحفيظ المتقدمات للدراسة فيه كامل المصحف ، وهو أحد شروط القبول في هذا المعهد- وكن ممن يحملن شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها، أو ما يفوقها ،وقد لاحظتُ الآتي:

- 1- لا توجد لدى الكثير منهن القدرة على التعبير عن آرائهن ، أو القدرة على الحوار والنقاش.
- 2- الشخصية لدى البعض ضعيفة ومهزوزة ، وغير واثقة من نفسها .
- 3- ضعف عام في الإملاء ، وفي قواعد اللغة العربية ، فالبعض لا يعرف الفعل من الفاعل ، ولا يميز بين الفعل الماضي والمضارع.
- 4- ضعف في المعلومات.
- 5- عدم استيعاب الكثيرات للمناهج الدراسية التي درستها.
- 6- ضعف في ضبط الحركات.
- 7- درجة الاستيعاب ضعيفة لما تقرأه.
- 8- لا توجد لدى البعض القدرة على التفريق بين معنى كلمة وأخرى شبيهة لها في الحروف ، ومخالفة تمامًا في المعنى.
- 9- رداءة في الخط.
- 10- توجد لدى البعض عيوب خلقية في نطق بعض الحروف ، فتنطق "الراء" "لاماً"، و"السين" "تاءً"، و"الزاي" "ذالاً" ، و "القاف" "عينًا ، أو"كافًا الخ

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكن لأمثال هذه النوعية أن يكن طالبات في دورات إعداد معلمات القرآن الكريم ومعهد للدراسات القرآنية سيكون في المستقبل معلمات للقرآن الكريم وعلومه؟

ولكن الإيمان والافتناع بمدى تأثير القرآن الكريم على تنمية القدرات الفكرية واللغوية ،ومعالجة النقص في النفس البشرية وتخليصها من جميع العقد والأمراض النفسية كان يجعلني أقبل غالبيتهن مع إعطائهن فرصة للتحسين ، وأعطي للواحدة منهن مهلة شهر أو شهرين لتقوية ما لديها من ضعف سواء كان في الإملاء أو في قواعد اللغة العربية ، أو في ضبط الحركات ، أو في التعبير ، أو في عيوب النطق حتى يتم قبولها، وأخصص لهن معلمة تعطينهن دروساً في المواد التي يحتجن فيها إلى تقوية ، وتدريب اللائي لديهن عيوباً في النطق على نطق الحروف من مخارجها الصحيحة ، مع قبولهن مبدئياً في فصول حفظ القرآن الكريم، ولكن ما تمضي المهلة المحددة إلا وأجد تحسناً ملحوظاً لدى الطالبة ، وألاحظ تغيراً جذرياً في شخصيتها، فتلك التي كانت لا تستطيع تكوين جملة واحدة صحيحة أصبحت تناقش وتحاور وتعبّر عن رأيها بثقة وثبات، والطالبة التي أمضت ثمان سنوات تدرس قواعد اللغة العربية لم تتمكن من تمييز الفعل من الفاعل أصبحت بعد حفظها لأجزاء من القرآن الكريم تعرب آيات طويلة من القرآن الكريم ، والتي كانت تخطيء في الكتابة أصبحت تجيد الكتابة إملاءً ، والتي كان لديها عيوباً في نطق بعض الحروف زالت تلك العيوب بحفظها بعض الأجزاء من القرآن الكريم ، وكذلك التي كانت لديها "تأتأة" أو "تلعثم" في الكلام أصبحت تتحدث بطلاقة بعد حفظها أجزاء من القرآن الكريم

، هذه حقيقة شاهدها وعاشتها ، ولا مبالغة فيها، وهي مثبتة في أوراق امتحانات الطالبات التحريرية ، وأوراق المقابلة الشخصية ، وهي محفوظة في ملفات خاصة في إدارة المدارس النسوية يمكن الرجوع إليها ومقارنتها بمستوى صاحباتها الدارسات إن كن موجودات في هذه المدارس ، وقبل هذا يؤكد هذه الحقائق المنهج القرآني في التربية وتنمية القدرات والمواهب¹.

¹ - حمّاد . سهيلة زين العابدين . ما لا نعلمه لأولادنا "بحث تنمية القدرات اللغوية لدى الطفل ، ص 164-166.

الفصل الثالث

بناء الطفل

بناء الطفل

يقوم بناء الطفل على ثلاث أسس، هي:

1-تحديد الهوية "من أنا؟"

2- تحديد الانتماء "أشبه من أنا؟ لمن أنتمي؟"

3- تحديد القدوة، أو المرجعية "من اتبع؟"

تحديد الهوية

فهي ترسم العلاقات الأولى للإنسان، أو الطفل ملامح ذاته، وترسي له التوازن في خطوات تعامله مع الآخرين، ونحن العرب هويتنا "العروبة" منا مسلمون، ومنا مسيحيون، ونحن كعرب على اختلاف أدياننا، فجميعنا أصولنا وجذورنا واحدة، والمسلمون منا هويتهم الإسلام والعروبة، والقرآن الكريم حدد هوية المسلم في قوله تعالى في سورة الأنعام: (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم مسؤولية الأبوين في تشكيل الهوية، فيقول: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه، أو ينصرانه)

فتحديد الهوية، والتمسك بها، والاعتزاز بها سيعطي توازناً للطفل طوال حياته، ويجعل له هدفاً يسعى من أجله، وهو تعزيز هذه الهوية وتأكيداتها والافتخار بها، لأنها تمثل كيانه ووجوده وانتمائه، وبدونها يعيش في ضياع قاتل، وعليه أن يتحلى

بالأخلاق الفاضلة من أجل أن لا يسيء إليها، بل يكد ويكافح لتتبوأ مكانة عالية بين الهويات الأخرى.

وتحديد الهوية ينبغي أن يتسم بالوضوح الذي يقتضي منا العمل لإشادة العلم الصحيح، وبناء القلب السليم بالتربية، وإعطاء القدوة الحسنة من أنفسنا، وتوفير البيئة التي تُعين على تبلور تلك الأمور.

ومن خلال تأملنا في واقعنا نجد أنّ هناك قصوراً منا في تحديد الهوية ووضوحها، فلم نقدم لأولادنا العلم الصحيح، ولم نحسن تربيتهم ليكون بناء قلوبهم سليماً، ولم نكن في كثير من الأحوال تلك القدوة الحسنة، ولم نوفر لهم البيئة التي تعين على بلورة ما يتلقونه منا، بل بالعكس نحن وفرنا لهم البيئة التي تسلخهم من هويتهم التي اكتسبوها من عيشهم معنا في مجتمعاتنا. نحدثهم بلغة أجنبية، ندخلهم مدارس أجنبية، نذهب بهم إلى مطاعم أجنبية، نلبسهم لبساً قد يكون مطبوعاً عليه أحرف أجنبية، بل أحياناً يكون مطبوع عليهم أعلاماً لدول أجنبية، جعلنا من التلفاز جليسهم يلقنهم ما يريدون مبنثوا برامجه دون توجيه منا، دون إيجاد لديهم الحس النقدي ليقوموا ما يرونه، فيرفضون ما لا يتفق مع قيمهم ودينهم وأخلاقياتهم التي ربيناهم عليها، ويأخذون منها ما يفيدهم وينمي معارفهم ومداركهم، وضعنا حواجز بينهم وبين خالقهم، حاجز يقوم على التخويف والترهيب، "الله سيعذبك"، "الله سيحرقك في جهنم"، لم ننشئه على محبة الله، لم نجعل علاقته بخالقه علاقة حب، فيعمل على إرضائه لأنه يحبه، قبل أن يخاف

من عقابه، فالإنسان إن أحب إنساناً يسعى لإرضائه، فما بالكم إن أحبَّ خالقه، نعلمه أن الله معه، ناظر إليه، شاهد عليه، فمن يتربي على هذا لا يعصي خالقه. نحن بالغلو والتطرف، وتفسير الدين وفق أهواء وعادات وتقاليد وأعراف جاهلية، وألبسناها لباس الإسلام أوجدنا هوة بين أولادنا وبين دينهم، أصبحوا يعتبرون تطبيق الشريعة الإسلامية كارثة مأساوية، لأننا أسأنا تطبيقها، نسبنا كل المحرمات، وكل ما نريد نحن أن نحرمه إلى الإسلام، فكرة شبابنا الإسلام، وبالأخص بناتنا اللواتي يعتبرن الإسلام يحرمهن من كل ما يتمتعن به من حقوق، وأنَّ تطبيق الشريعة الإسلامية يعني الحكم على المرأة بالحبس والقهر والضرب والجهل.

ومن يمتلك الموهبة الأدبية منهم ،فهو في الغالب سيتبني المذاهب الغربية، ويأخذها على علاتها ، ويصبح أدبه تغريبي الهوية.

إنَّ الحديث عن حقوق الإنسان عامة في الإسلام، والمرأة بصورة خاصة حديث يحتاج إلى مؤلف خاص به، ولكن كل الذي أقوله إنَّ جميع المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة، وحقوق المرأة السياسية لم تأت بجديد فقد سبقها الإسلام بأربعة عشر قرنًا وربع، وفاقها، هناك من الحقوق في المواثيق الدولية تنتهك قيمًا ومثلاً دينية كإباحتها الزنا و الزواج المثلي الذين تحرمهما كل الأديان السماوية، ولم تحترم الكيان الأسري مثل اتفاقية إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وقد تمتع الإنسان في العصور

الإسلامية الأولى بحقوقه في الإسلام كاملة، وسلبت منه في عصور التراجع الحضاري التي مرت بالأمة الإسلامية، والتي لا نزال نعاني منها الآن.

فحفاظنا على هويتنا العربية والإسلامية يكون بتمسكنا بعروبتنا، بلغتنا، بديننا، واللغة العربية الآن تتعرض لعملية هدم كبرى من خلال مشروع أمريكي تحت مسمى تحديث الثقافة العربية، ويتضمن هذا المشروع الدعوة لكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية بدعوى أنّ حروف العربية المائلة تربى العنف في صغارنا، ومبررات أخرى ساذجة تستهدف اللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم، فإذا تمكنوا من القضاء على العربية يتمكنون من القضاء على القرآن الكريم حيث فشلت كل محاولاتهم للنيل منه، من هنا علينا أن نحافظ على لغتنا، وعلى تعليمها لأولادنا لنحافظ على قرآننا، وعلى هويتنا.

أمّا من حيث فرض على أطفالنا الثقافة التي نحن نريد دون مراعاة لرغباته واحتياجاته وقدراته، وهذا ما جاء نصه في المادة الثالثة عشر بينديها الأول والثاني في اتفاقية حقوق الطفل:

1- "يكون للطفل الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها، دون أي اعتبار للحدود سواء بالقول، أو الكتابة، أو الطباعة، أو الفن، أو بأية وسيلة أخرى يختارها الطفل ."

2- يجوز إخضاع ممارسة هذا الحق لبعض القيود بشرط أن ينصّ القانون عليها، وأن تكون لازمة لتأمين ما يلي:

أ - احترام حقوق الغير أو سمعتهم.

ب - حماية الأمن الوطني، أو النظام العام أو الصحة العامة، أو الآداب العامة.

الفصل الرابع

الموهبة الأدبية وتنميتها

الموهبة الأدبية

الموهبة الأدبية عملية ذكائية إلا أنّ ذكاءها حدسي يختلف في الرؤيا والأداة عن العمليات الذكائية الأخرى ، لأنّ الموهبة التي وظفت القابلية العامة توظيفاً شعرياً تقتضي بالطبع أدوات مختلفة عن أدوات الموهبة العقلية التي وظّفت تلك القابليات توظيفاً هندسياً ، أو كيميائياً أو رياضياً ، أو نحو ذلك من المجالات العلمية التي تستدعي ذكاءً عقلياً محضاً ، تتطابق نسبه وأبعاده ، أمّا الذكاء الأدبي فعملياته حدسية موظفة أصلاً لتقمص الوجدان واستدراج تهويماته ، وإسقاطها في وحدات لغوية مخيلة ، ومن هذا التداخل بين الشعور والذكاء الأدبي يقتضي هذا الأخير لوازم وجدانية لا تتطابق فيها النسب والأبعاد، كما هو الشأن في الذكاء العقلي الصرف ، فإذا كان هذا الأخير يتجه رأسياً ليتعمق الشيء حتى يصل إلى جذوره ليققلعها ، ويعرف كل شيء عنها ، فإنّ الذكاء الأدبي يتجه أفقياً في انتشاره المعرفي ليأخذ من كل فن بطرف، حتى ليتمكن لهذه العمليات أن تلحق به ، وتستثمر لديه ، ولهذا فإنّ الشاعر . كما يقول ابن الأثير ، في المثل السائر. "مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر ، واحتماله كل حمل من نحو ولغة وفقه ، وحساب وفريضة ، وحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب وكلام العرب والأحكام السلطانية ، والقرآن والحديث وعلم العروض " ونحو ذلك من الروافد المعرفية التي يقتضيها الذكاء الأدبي .¹

¹ - محمد طه عصر : سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة ، ص 56، ط1، 1420هـ . 200م ، عالم الكتب ، القاهرة.

الموهبة الأدبية والذكاء

إنَّ اكتشاف الطفل الموهوب ، والتنبؤ بذكائه الأدبي ليس بالأمر اليسير ، فالأدب رؤية حدسية لم تتضح بعد لدى كائن لم يكتمل معجمه اللفظي العام ، ولم تنزل موهبته في مرحلة من الكُمون تجعله يحس فقط ، ويتأمل ، لكنّه لا ينشئ ولا يكاد يبين ، وهو في هذا يختلف عن أتراهه ذوي القابليات الأخرى ، كالرسم والنحت ، أو الموسيقى "اللدندنة" ، أو "اللعب التوهمي" ، أو نحو ذلك من المظاهر التي تسهل ملاحظتها وتأملها فضلًا عن قياسها والارتقاء بها.¹

ومع أنّ رعاية الموهوبين والارتقاء بمواهبهم تمثل محورًا بارزًا لدى المحدثين إلّا أنّ نصاب الأدب كان ضئيلاً إذا ما قيس بالموهبة العقلية ، أو قورن بالموهبة الفنية كالرسم والتمثيل ، أو الموسيقى والغناء . وحتى الذين تناولوا الموهبة الأدبية ، وكادوا يصلون بالاختبارات إلى حدود التجريب ، اعتمدوا أدوات لا تلائم طبيعة هذه الموهبة ؛ إذ استندوا إلى ما هو مستورد من النظريات بغض النظر عن صوابه ، أو خطئه ، لآئمه البيئة العربية ، أو عدم ملاءمتها له ، ولهذا لم يسلموا من الاعتساف الذي كثيراً ما يحيل التجريب إلى تبرير ، فتبدو الفروض ، وكأنّها نتائج عالقة بالذهن قبل اختبارها على محكات الصدق والثبات ، وبحيث يمكن لباحث آخر أن يضع فروضاً مغايرة ، يصل أيضاً إلى نتائج مغايرة حول الموهبة وعلاقتها بكل من العمر الزمني والذكاء العام والأعصاب ، والوراثة وفسيلوجيا الدماغ.²

¹ - محمد طه عصر : سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة ، ص 45 .

² - المرجع السابق : ص 46.

ارتباط النبوغ الأدبي بالنبوغ العقلي

في أكثر من بحث عن الذكاء والفروق الفردية ، ومعايير اكتشاف الموهوبين كانت هناك إشارة إلى أنّ النبوغ الأدبي يرتبط بالنبوغ العقلي ، وأنّ ثمة علاقة مطردة بين العمرين الأدبي والزمني ، بمعنى أنّ موهبة الطفل تنمو باطراد مع نموه الزمني ، وأنها تُقاس بالقدرة على التحصيل ، وحل اختبارات الذكاء العام ، وتبعاً لذلك يُصنّف الموهوبون إلى ثلاث مستويات:

- الممتاز ، وتتراوح نسبة ذكائه بين مائة وعشرين إلى مائة وأربعين درجة.
- المتفوق : ما بين مائة وأربعين إلى مائة وخمسين درجة.
- العبقرية : هو الذي يصل الحد الأعلى لذكائه إلى مائة وثمانين درجة. وهذه النسبة تعني الموهبة أو العبقرية ، أو التفوق العقلي بحيث يُمكن القول إنّ هناك ثلاث مستويات للموهبة .

مستويات الموهبة

- المستوى العادي : ويتراوح بين مائة وعشرة إلى مائة وعشرين درجة.
- المتوسط : من مائة وعشرين إلى مائة وسبعة وثلاثين درجة.

المرتفع من يزيد على ذلك¹.

إلّا أنّ الدكتور محمد طه عصر يرى أنّ الارتباط بين الموهبة الأدبية والذكاء ارتباط ضعيف ، فالطفل الذكي عقلياً قد يمكن أن يصير أديباً ، و ألا يكون كذلك ،

¹ - المرجع السابق : ص 47.

وحين نقيس ذكاء الطفل الأدبي بالقدرة على التحصيل ، أو حل الاختبارات نخلط بذلك بين الذكاء والتفكير ، وبينهما فرق دقيق ، فالذكاء استعداد عام يهيمن على جميع أنواع النشاط العقلي ، ومنها التفكير ، وهذا الأخير عملية ونشاط ، وسلوك عقلي يرمي إلى حل المشكلات ، وليس فقط استعدادًا أو قابلية . لذلك فإن ربط القدرة على التحصيل بالذكاء العقلي أقوى من ربطها بالذكاء الأدبي، فهذا الذكاء قدرة حدسية تستعصى على المنطق والتنظيم ، ومطابقة النسب والأبعاد ، وتقتضي فقط الوعي بالعلاقات التركيبية ومتعلقاتها ، ومدى ملاءمتها لقائلها ومتلقيها وسياقها العام ، ونحو ذلك من مظاهر الوعي والانتباه ، ودقة الملاحظة التي تعرف في المصطلح النقدي باسم (القرآن) ، هذا الأخير يتخذ مقياسًا للذكاء ولا يذكر إلا مقترنًا بالفهم والفتنة ، فهذا "يتبع البيت الأول بمثله في جودة الفهم والفتنة " ، أو "يجئ بالبيت وأخيه" في مقابل آخر " يأتي بالبيت وابن عمه " ، أو "ليس لشعره قران". فالقرآن إذن ، ليس الذكاء العام هو المظهر الأدائي للذكاء الدبي ، وهو شيء لا يقاس بالقدرة على التحصيل أو حل اختبارات الذكاء العقلي، فمن الموهوبين من كانت له قدرة تحصيلية خارقة ، لكنه إزاء اختبارات الذكاء الأدبي لا يكاد يبين ، كما أن منهم المهني ، ومن لم يكمل تعليمه ، ولكنه في طلاقته الأدبية لا يُبارى ، ولا يجرى معه ، منهم من كان عمره الزمني أكبر من عمره الأدبي ، أو بالأحرى "نبغ كبيراً فسمي بالناطقة ، ومنهم من كانت موهبته الأدبية أكبر من عمره الزمني ، ثمَّ ضعفت في الكبر ، أو توقفت في منتصف العمر ، ولم تنم باطراد مع نمو سنه ، فليس ثمة علاقة مطردة بين ما يحصل عليه الموهوب من درجة تنبؤية ، بين ما هو متوقع في المراحل التالية ،

وليس كل من يحصل في مرحلة الطفولة على درجة أدبية أو ابتكارًا ، أو تحصيلًا ، أو استظهارًا تثبت له تلك الدرجة في المجال ذاته ، وفي مراحلهُ العُمرية التالية.¹

فالفرزدق الذي تفوّق في اختبار " الفحولة" ولم يحر جوابًا " إزاء طفل² أُعجب بإنشاده ، فلما قال له الفرزدق : " يا غلام أيسوك أني أبوك " قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلًا ، لكنه يسرني أن تكون أُمي ، فحصر الفرزدق ، وُوقال : ما مر بي مثلها قط ، ومن المعروف أنّ ذاك الذي حصر كبيرًا إزاء هذا الطفل كان مشهورًا بطلاقته المسكّنة رد في إجابته حين سُئل عن معنى "الفرزدق" ، فقال لتوه : " أنا الذي تضعه نساءؤكم في بطونهن" ، ومثال آخر :الكندي الذي عُرف باختباره الشعراء ، ومشاغبته اللغويين والبلاغيين ، مع أنّه لم "يحر جوابًا" حين أجابه المبرد . (285هـ) على إشكال بلاغي شاء الفيلسوف أن يُفحّمه به ، ويضعه موضع الحرج والتثريب .³

إذن ليس هناك تعادل بين العُمرين الأدبي والزمني ، بل ربما ذهبنا إلى أنّ بينهما تناسبًا عكسيًا ، وإلّا كيف نفسر ضعف البناء الاستعاري ، وطغيان الواقعية والترجمة الحرفية على لغة بعضهم كلما اقترب من عتبات الشيخوخة ، فهذا جرير (110هـ) يعترف بأنّه " أعين على الأخطل بكبر سنه " ، وليبد (660م) قد فترت موهبته في منتصف العمر ، فاستبدل بها سورتي البقرة ، وآل عمران ، ولم يقل في الإسلام إلّا بيتًا ، مع أنّ عمره الأدبي ، وهو غلام كان يفوق كثيرًا عمره الزمني إلى

1 - المرجع السابق : ص 48.

2 - هو الكُميت.

3 - الجرجاني . عبد القاهر . دلائل الإعجاز . ص 305.

الحد الذي جعله يتبوأ الدرجات العلا في قوم كان الأدب موهبتهم الأولى ،ومثار اهتمامهم وفخرهم حتى ليعدون النقص في هذه الموهبة عاهة ، فلم يكن للناس عجباً أن يمثلهم ، وهو طفل بين يدي ملوكهم لينتصف لهم من خصومهم ، وغير واقعهم الاجتماعي ، ويعيد صياغته ، ومن البديهي أنّهم لم يرشحوه لهذه المهمة إلا بعد اختيار يميزه من أترابه ، يكشف قدراته ، ويبين مدى اختلاف مجاله الإدراكي ، وأنّه يفتن إلى ما لا يفتن إليه غيره ، ويشعر بما لا يشعر به سواه.¹

من هو الطفل الموهوب أدبياً ؟

تشير الاختبارات التنبؤية أنّ الطفل الموهوب هو : (هو الذي أتاه الله طبعاً مجيباً ،وقريحة مواتية ، وإذا امتحن لم يتلثم "

سمات الموهبة الأدبية

هذا التصور العربي ينطوي على جملة سمات إدراكية ووجدانية ومهارية أخصها في التالي :

1.لطافة الحس التخيلي

إذا قلنا إنّ الأدب انفعال مُخيّل أداته اللغة اللفظية ، فإنّ أولى إرهاصات هذا الفن هي الكلمة المخيلة ، غير أنّ المراد بالخيال هنا هو ذلك النوع التركيبي الذي يؤنسن الأشياء ، ويسقط عليها تهويمات الذات وهواجسها ، كما فعل أحد الأطفال ، وقد هرب من درس مؤدبه ،فلماً أراده بالعقوبة قال :

¹ - عمر. د. محمد طه مرجع سابق . ص 48- 49 بتصرف.

الله يعلم أنني كنتُ منتبذًا

في دار حسان اصطاد اليعاسيبا

ثمَّ جاء أبوه يبكي ، ويقول : " لسعني طائر كأنه ملتف في بردى حبرة " وعندئذ صاح أبوه : قلت الشعر ورب الكعبة" ، وبناءً على مقياس "ابن رشيق" (فإنَّما الشعر ما أطرب) يكون طرب الأب حكمًا تنبؤيًا بموهبة ابنه ، فإذا رجعنا إلى تقنيات هذه النبوة ألفيناها تصورًا ارتساميًا ، فالنحلة رجل مدثر ، وجناحاه برداه ، واللون هو اللون ، ومع أنَّ الطفل قد يكون كاذبًا في دعواه أنَّ اليعسوب لسعه ، لكنه حتى مع كذبه يعد موهوبًا ، من حيث قدرته على استدعاء الإحساس بالألم ، دون وقوعه ، وتلك هي سمة الصبي المهيأ للشعر ، والذي يوصف بأنَّه انفعالي لأفعال ، وكأنَّه بدعواه يريد أن يقول : حسبي عقابًا لسع اليعاسيب. لقد استشعر أنَّ هربه من الدرس يقتضي لوم والده ، وعقاب مؤدبه ، وهذا ما لا يستطيع تحمله ، فلا أقل من أن يُلقي التبعة على صاحبه اليعسوبي هذا¹.

2.الصاحب الخيالي

وفيما بين الثالثة والنصف حتى السادسة يظهر لدى الطفل لون من الإيحاء الذاتي يسمى الصاحب الوهمي حيوانًا كان أم طائرًا أم حشرة ، أم دُمية يلجأ إليه إثر وقوعه في خطأ يوجب الحرج والتثريب ، وذلك لحساسيته الشديدة في علاقته بوالديه ، ورغبته في إرضائهما ، وقلقه على مركزه لديهما ؛ لذا يجد من الصعوبة عليه أن يتحمل وحده تبعة هذا الخطأ ، فلا يجد أنسب من صاحب خيالي ينقذه من المآزق. هذا اللون من التوهم يعني أنَّ الطفل ينتمي إلى النموذج الفني وأنَّه

¹ - المرجع السابق . ص 168.

يستثمر خياله لتخفيف ما لديه من طاقة انفعالية، وأنّ لديه مرونة ذهنية ، وذكاء ومهارة في تسلية نفسه ، وتبرير سقطاتها ، وصلة هذه الظاهرة بالشعر من حيث أنّ هذا الفن طاقة انفعالية يستدرجها الشاعر في أخيلة لغوية تذكي عقله ، وتخلصه من الحرج ، كما تأتي دلالتها التنبؤية من ارتباط الشاعرية في التراث الأدبي بشيطان متوهم ، هو في الواقع نوع من الإيحاء الذاتي ، يلجأ إليه الطفل لرأب الصدع في الأنا ، وتأكيد الذات بالادعاء أنّ ثمة قوة خارقة تناوبه القول ، أو تلمه وتميزه من أترابه ، فيفطن إلى ما لا يفطن إليه غيره، يشعر بما لا يشعر به سواه.¹

3. التمثيل التلقائي واللعب التوهمي

ويقصد به تلك الخبرة الرمزية التي يستحضرها الطفل في لعبه التوهمي ليحيلها إلى تمثيل مرتجل يؤديه ، دون إعداد سابق ، أو جمهور يتوجه إليه ، فبدلاً من أن يعرف الأعمى بأنّه من ليست له عينان إذا به يستبدل بهذا التعريف النظري إجابة عملية مخيلة ، فيغمض عينيه ، ويتحسس الأرض ، وينتقل من مكان إلى آخر ، وبهذا يمارس المعنى الذهني المجرد ، ويتذوق رموزه ، كما أنّه حين يمتطي العصا ليلعب دور الفارس ، فكأنّه يعيد تركيب الأشياء المألوفة ، ليستخدمها في صورة غير مألوفة ، وهذا هو جوهر الإبداع.²

¹ - المرجع السابق . والصفحة ذاته.

² - المرجع السابق . ص 169.

4. النزعة الإحيائية

ولأنه يعتمد في تفكيره على البديهية ، وليس على المنطق فهو يخلع الحياة على الشمس ، ويجعلها تمشي لأنها في منطقة تتحرك ، والحركة لا تكون إلا صفة للأحياء ، كما أنه حين يتخيل في قلم صغير ، وآخر كبيراً طفلاً يقف مع أبيه ، فلأن الابن لا يكون إلا من أبيه . وكثيراً ما بتخيل في الحيوانات ، والطيور حياة أشبه بحياة الإنسان ، فالطيور تتكلم ، القطط تبكي ، والنحلة تقلد الرجل اليماني فتلبس ثوبين تضرب حمرتها إلى السواد. وتتمثل الدلالة التنبؤية لهذه الظاهرة في أن الفن تخيل ، والتخييل تشخيص يتجاوز نقل الأشياء إلى أنسنتها ، وإسقاط الذات عليها. هذه الأنسنة يمكن لمسرح العرائس أن يرتقي بها ، فالمسرح يعتمد على الدمية ، وهذه رفيقة الطفل يحدثها ويحاورها ، ويتقبل منها ما لا يتقبله من البشر ، كما يمكن المسرح التعليمي أن يشبع لديه هذه الأخيلة خاصة وأن قوة المخيلة لدى الطفل تتناسب عكسياً مع عمره ، وأي تمثيل لا ، أو لعب توهمي يكسبه الحس المعرفي والدرامي ، كما في لعبة الكرج ، وتمثيلية أبي القاسم البغدادي.

5. قوة الحافظة ولطافة الحس الروائي

يعد الحس الروائي أطول الأضلاع في مثلث الموهبة ، لهذا كانت الفحولة الرواية ، فالطفل الموهوب سريع الحفظ يتعلق بالقصائد والكلمات المسجوعة ، وكذلك الحكم والأمثال ، فمثل هذه الأشكال التجميلية الجاهزة وتسعفه بالتعبير حيث لا تسعفه لغته الخاصة التي لم يكتمل معجمها بعد ؛ لذا تعد الطفولة بمثابة المخزن

الفني الذي يتيح للطفل أن يلتقي باللغة الفنية في صورتها العملية ليتشربها ،
ويتمرس بها ،"ويكسب الرونق والديباجة ، ويتعرف مناهج الشعراء ومذاهبهم ،
فيقوى نفسه بقوة أنفاسهم ، ويغذى طبعه بقوة طباعهم ، وما يزال يحفظ وينسى ما
حفظه ، ثمَّ بعدئذ يشرع في النظم ضرورة أنَّ الشاعرية ليست انسيابًا تلقائيًا
للموهبة ، ولكنها تلاقح معرفي يوشك بعده أن يولد الشاعر من الطفل ، ولهذا
تطرد من الصيغ الاختيارية عبارة " أنشدني " ، وليس "أسمعني" ، ذلك أنَّ الحفظ
خبرة رمزية تتغذى عليها الموهبة ، ولا يكاد الطفل يتجاوز الخامسة حتى يكون قد
حفظ الكثير من شعر الفحول ، فإذا استنشد لا يحزم حرفًا واحدًا ، وإذا امتحن لا
يتعلم كما في مقياس ابن قتيبة ، وكما في اختبار "قيس بن معدي كرب" مع
طفليته "سمية" ، هريرة " حين امتحنهما في موهبة الاستظهار بحضور الأعشى
الشاعر المعروف.¹

6. التردد ولطافة الحس اللغوي

والطفل الموهوب أدبيًا لديه حساسية لغوية تتمثل في ولعه بترديد الألفاظ التي
يسمعها ، وهذه الملحوظة قائمة على افتراض وجود استعدادات خاصة بالمراكز
العصبية الخاصة بالكلام ، حيث تظل هذه الاستعدادات همًا ضاغطًا على هذه
المراكز ، فإذا به يردد هذه الكلمات للتمرس باللغة الفنية ، وتمثلها والتعرف عليها
بصورة تختلف عن الطفل العادي ، فهذا الأخير ؛ إذ يكررها ، فلكي يضيفها إلى
رصيده اللغوي ، ثمَّ يتوقف معدل تكراره إياها على صعوبتها أو سهولتها ، والأمر

¹ -المرجع السابق . ص 169 ، 170.

مختلف مع الموهوب ،فمعدل تكراره إياها يرتبط بطبيعتها الفنية ، وما تتطوي عليه من إشعاعات تثير فيه حاسة التخيل ، فهو إذ يكررها لهذا السبب ، يكررها الطفل العادي ليتمكن من معرفتها معنى ومبنى ، وليضيفها بعدئذ إلى قاموسه اللغوي. ويشير المقياس التاريخي إلى أنّ بعض الأطفال تحرك أول ما تحرك ، وهو يردد كلمات مرجوزة أو مسجوعة ، وذلك في محاولة لاستعياب هذه الصيغ ليضيفها إلى قاموسه الأدبي ، كما أنّ بعضهم يحاول أن يخلق لنفسه عالماً لغوياً مستقلاً ، يستوعب ذاته ، وتنطبع عليه بصمته فيلجأ إلى اختراع صيغ تعبيرية بالنحت أو القلب أو التصحيف أو التحريف ، أو ينادي أبويه بمثل "باما" ، أو "مايا" بدلاً من بابا أو ماما. ¹

7. لطافة الحس الموسيقي "الدندنة والتغني"

كثيراً ما يرتجل كلمات يلحنها ويغنيها ، ويدندن بها كلما اختلى بنفسه ، وهذه الظاهرة تتصل بالشعر من حيث أنّ الجانب الإيقاعي عنصر أصيل في فن العربية الأول ، وأنّ هذا الفن اختص بالغنائية ، وكان الوزن والقافية أبرز عناصره النمطية. ولأنّ الطفل لم يكتمل بعد قاموسه الأدبي المخيل ، وليست لديه خبرة معرفية ، أو أدوات لفظية للتعبير عن ذاته ،لذا ينهض التغني ليعوض فقره اللغوي ،بخاصة أنّ الموسيقى . عكس الفنون . لا تحتاج إلى إدراك ، أو معرفة ، أو خبرة لفظية ، ولهذا يظهر النبوغ الموسيقي قبل الثامنة ، أي قبل القدرات الإبداعية الأخرى ؛ إذ أنّ هذه لا تظهر قبل الثالثة عشرة ،لأنّها تكون وقتئذ في

¹ - المرجع السابق .ص 170.

خدمة نموه الحسي والعقلي ، ونظراً لحاجة الشعر إلى الإيقاع ، فإنه يعتمد على الموسيقى والغناء ، لأنهما أدخل في الشعر ، وهو جزء منهما حتى إنَّ الجاحظ جعل الشعر والعروض من كتب الموسيقى. هذه الأرضية المشتركة بين الفنين تجعل حاجة أحدها إلى الآخر أقرب إلى التعويض ورد الفعل ، فحين ينهض "التغني" للتعبير عن الذات فكأنما يسعفها بما عجزت عنه لغتها اللفظية ، ومادامت الغنائية هي حجر الزاوية في صلة الفنين ، فلا عجب أن يكون الشعر غناء ، أو بسبب من الغناء ، فالأصل فيه أن يُنشد ، وأن يُغنى ، وأن يكون التغني هو ارهاصته الأولى ، ومضماره ، وأحد الطرائق في استنارته.¹

8. الحدس والتفطن

تمثل المعرفة الحدسية أبرز السمات الفارقة بين الموهبتين الأدبية والعقلية ، فالموهوب أدبياً يفطن إلى ما لا يفطن إلى غيره ، وهذا يعني اختلاف مجاله الإدراكي عن الشخص العادي ، فحيث يلتقي هذا الأخير معرفته من عالم الشهادة ، ويركب الأشياء تركيباً منطقياً منظماً ، فإنَّ الأول يتلقى ، وكأنَّ به شيطانه يلهمه ، أو يناوبه القول ، ويجعله يلمح ، ويرى ما لا يرى ، وتبين له الأمور على غير ما تظهر لأترابه العاديين. والفيصل في هذه الحدسية هو قدرة الطفل على إدراك أو خلق العلاقات التركيبية حيث لا يدركها الطفل العادي ، ولا يكاد يراها ، وتقاس هذه القدرة بإجازة تتضمن عقدة تقتضي حلاً كما حدث مع كعب بن زهير حين أجري له اختبار تنبؤي أكد إزاءه الشيخان . أبوه والنابغة . أو

¹ - المرجع السابق . ص 171.

بالأحرى تظاهراً بالأكداء لكي يختبر قدرته الحدسية حين وضعا الإجازة في صورة " شيفرة" تتحدى ذكاء الطفل ، وتبرز قدرته على فهمها ، وفك رموزها ، وكما حدث من الطفلتين اللتين قُتِلَ أبوهما ، حين استطاعت إحداهما أن تفك طلاسماً هذه الشفرة التي أرسلها، بينما أكدت الأخرى ، ومن الملحوظ أنَّ الطفل هنا لا يقول ابتداء ، وإنما يكمل فكر غيره بطريقة القصف الذهني ، وهذا يجعل الإجازة أشد وطأة ممن يقول ابتداء .

9. الانفاذ وقياس مهارات التدوق

تولد الجملة المخيلة انفعالاً مخيلاً لدى الطفل الموهوب ، وتستثير لديه مزاجاً فنياً أشد وطأة من الاستلطاف، وأقوم قِيلاً من مجرد الحكم والتقويم .هذا المزاج ينطوي على عدة مهارات تتلخص في الإحساس بأثر هذه الجملة ، وتمثل الحركة النفسية في بنياتها ، وإدراك الخلل من عناصرها ، واختيار أنسب البدائل اللفظية مشفوعة بالتعبير والتعليل. ولقياس هذه المهارات يستخدم الانفاذ محكاً تنبؤياً ، حيث يلقي المختبر على مجموعة من الأطفال بيتاً أو أكثر ،ويطلب منهم أن " ينفذوه" أي يغيروا فقط كلمة واحدة هي محل القافية ، ويجب أن تنطوي هذه الكلمة على مخالفة تركيبية تتحدى موهبة الطفل ، وتستثير صراعه المعرفي ، كأن تجعل للثور قرناً واحداً ، كما في اختبار أبي داود ، أو تخالف بين الصفة والموصوف "كالصعيرية" في اختبار طرفة. وتعتمد هذه الطريقة على تقسيم الأطفال إلى مجموعتين ، تجلسان في شكل تقابلي ، ثمَّ يقوم المختبر أباً كان معلماً بقراءة النص قراءة أدبية ممثلة للمعنى ، معبرة عن الانفعال به ، ضابطة

ألفاظه ، متكئة على مخارجه ، حتى ينبه بصيرتهم الفنية ، فيتقنوا إلى موطن الخلل ، ويعبروا عنه دون نقد أو اعتراض.

10. الإجازة وتنمية الابتكارية

إذا كان الطفل الموهوب أدبياً يفتن إلى ما لا يفتن إلى غيره ، وقد أوتي طبعاً مجيباً وقريحة مواتية. وإذا امتحن لا يتعلم ، فهذا يعني أصالته ومرونته الذهنية وطلاقته ، وقدرته على استثمار المشكلات الفنية وحلها في سرعة ودقة. ولقياس هذه القدرة تُستخدم طريقة "الاستجازة" ، وذلك لاختيار ابتكارية الطفل ، وذلك بالإنتاج الفعلي والخبرة العملية المباشرة. وأساس هذه الطريقة هو تخاطر اثنان حول شطر ، أو بيت بأسلوب القصف الذهني ، إنها بالأحرى اختبار تجريبي يستثير حساسية الطفل في استشعار المشكلة ، ومجارة المختبر في رؤيته وأدواته وطاقته الانفعالية ، ومدى مهارته في التقاط الفكرة وتبنيها ، واحتذاء الشكل الذي وضع لصياغتها.

11. الألغاز وقياس الذكاء المعرفي العام

يستخدم اللغز في اكتشاف الطفل الموهوب أدبياً وقياسه ذكائه المعرفي العام. وتأتي دلالاته التنبؤية من أنّ اللغز ظاهره عجيب غير ممكن ؛ ولذا فإنّ القدرة على استخراجها لا تخلو من الأعياء ، لأنّه يتضمن سؤالاً يتحدى عقل الطفل ، ويحفزه لكي يفكر ويقدر ، ويقلب الكلام على وجوهه ؛ لهذا وصف بأنه علم صبيان الكتاب ، ولا يقوى عليه إلاّ الفطن اللبيب .ك ما تأتي دلالتها التنبؤية من كون الذكاء المعرفي العام عنصراً أصيلاً في فن العربية الأول ، ذلك الفن الذي

يوصف بأنه علم يمثل الذكاء ثالث ضلعيه الطبع والرواية، هذا الذكاء جانب المعرفة فيه أفقي يقتضي معرفة شيء عن كل شيء.

والألغاز تعمق في الطفل حب الاستطلاع ، ودقة الملاحظة ، كما أنّها غريزة في فطرته لما تنطوي عليه من السؤال والجواب ، فإنّ الطفل الذي هو دليل الطبيعة الأولى في الإنسان يسأل عن أشياء كثيرة بوصفها ، والإشارة إليها فإذا سئل بمثل ذلك كانت أحاجي ، ذلك أنّ اللغز يعتمد على كلمات تتضمن اسمه وصفته ، أو بعض حروفه ، كما أنّه قد يتضمن موضوعات مألوفة وحين توضع في صورة غير مألوفة تكون تحدياً لقدراته على التفطن، وإدراك الفجوات المعرفية فظاهره شيء عجيب يكدّ الذهن ، ويثير صراعه المعرفي ، ولكن الصياغة الأسلوبية تلمح إليه بصورة لا يدركها إلاّ الفطن اللبيب ، الذي أوتي حظاً من الحساسية اللغوية والمعرفة الحدسية الخارقة.¹

¹ - المرجع السابق . ص 173 - 174.

منهج التنشئة الأدبية

ممّا لا شك فيه أنّ التربية الروحية والوجدانية والاجتماعية، والخلقية والبدنية، هي الأساس في تنشئة الأديب الإسلامي ، وهذا لا يلغي دور منهج التنشئة الأدبية ، وبديهي أن يختلف منهج التنشئة الأسرية هنا عن منهج التنشئة خارج الأسرة الأدبية ، وعن المنهج المدرسي داخل المؤسسات التعليمية ، فهذه الأخيرة تعتمد على التعليم البسيط في تقليد زاوية معينة في النموذج الفني المحتذى ، زاوية جزئية فقط يقوم "المبتدئ في هذا الفن المترشح له باستجابة مماثلة لها دون أن يأخذ في اعتباره السلوك الشخصي لصاحبها ، بحيث لا ينصب التقليد على النمط الكلي للشخصية ، وإنما ينصب على سمة فنية من هذا النمط الذي تمثله ، فيقوم بتكوين صورة ذهنية لإحدى زواياه. ثمّ يجترها في شكل جديد ، تشطييراً أو توليداً ، أو قلباً أو معارضة ، أو نحو ذلك من طرائق التصرف التي يلجأ إليها المبتدئ ليتعرف من خلالها على طريقة الأداء ، ويكتسب الديباجة والرونق ، وما زال كذلك حتى تستقيم قناته، فيستقل ، وتسمح قريحته بمثاله ، وكأنّه بهذا يقول لنفسه : " أنا أريد أن أكون مثل فلان هذا في تلك الزاوية أو السمة أو الوجهة الفنية بالذات " مثل حماسات أبي تمام واختيارته فقد كان من أصدائها تلك الحماسيات التي ألفها البحتري (395هـ) ، وأحمد فارس (395هـ) ، والمرزوقي (421هـ) ، وابن الشجري (542هـ) ، وغيرهم كثير اتخذوا هذه الحماسات أنماطاً عليا فاحتذوها دون نظر إلى السلوك الشخصي لصاحبها.

هكذا الشأن في التنشئة الأدبية خارج الأسرة المتأدبة ، وهي تقوم على التقمص الفني لزاوية معينة ، دون أن ترتبط قرابياً بصاحبه ، كي تتبنى قيمه واتجاهاته الكلية ، وهذا بخلاف التنشئة الأسرية ، فهي تقوم على التوحد ، وتستند إلى عدة عمليات معقدة تجعلها أشد وطأة من الأولى ؛ إذ لا بد للناشئ من قريب مشهور أدبياً ، وأنّ

يعرف أنه يشبهه حتى يتوحد به ، ويشاركه سلوكه الشخصي والفني أي يتبنى سماته الكلية ، وليس سماته الفنية ، أو زاوية معينة فيها.

الموهبة والإطار الثقافي للأسرة

والذي يحدد نوع ووجهة هذه القابلية هو الإطار الثقافي للأسرة علمًا كان أو فنًا فقد كان الشعر مثلًا هو الإطار الثقافي الأول للمعرفة عند الجاهليين ،فهو ديوانهم ، و فنهم الأول ، وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه ،ومن ثمَّ كان المشكل الأول لتقافتهم ، والإطار الذي من خلاله تتوجه قابلياتهم العامة.

فهذه القابليات هي التي تهيئ لحسن التعبير عن الرؤى بأداة أو أكثر من أدوات الأداء الفني دون غيرها ، وهي أيضًا التي تخصص عالم الفنان ذلك التخصص الثاني ، إنَّ بين عوالم الفنانين ممرات ، فمن أجل ذلك نرى شعراء يرسمون ، ومصورين يكتبون ، ونرى جميع الشعراء يتذوقون التصوير ، وجميع الكُتُب يتذوقون الموسيقى والتصوير وسائر المبدعات ، وربما كاتب يرسم بالكلام منظرًا طبيعيًا ، وشاعر يثير بقصيدة جواً كالذي يحدثه الموسيقي بلحن من الألحان.¹

ومن خلال تقرير نتائج ورشة العمل التحضيرية التي نظمها مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل الذي عقد في الإسكندرية في الفترة

¹ - عمر . محمد طه . مرجع سابق . ص 75.

من 25-27 سبتمبر عام 2005م¹، وشارك فيها أطفال من عدد من الأقطار العربية (الأردن، الإمارات العربية المتحدة، تونس، سوريا، فلسطين، قطر، عُمان، لبنان، مصر، اليمن)، وأعمارهم تتراوح من 6 سنوات، وثمان سنوات، 10 سنوات، 13 سنة، و14 سنة، و17 سنة، و18 سنة، أكدت عدم تمتع الطفل العربي بحقوقه الثقافية، وأنّ مصادر ثقافتهم الإعلام في المقام الأول، يليه اللعب، أما الكتاب فيحتل المرتبة الثالثة. واختفى دور الأسرة كمصدر ثقافي للطفل، وهذا يعني تقاعس الأسرة، أو تراجع دور الأم والأب كمصدر ثقافي، بل نجده مختف كدور الموجه والمعلم في عملية التلقين الثقافي لأطفالهم، كما نجد عدم ذكر للمدرسة كرافد ثقافي لأطفالنا.

أيضاً نلاحظ من خلال قراءتنا لهذه النتائج عدم رضا أطفالنا وقناعتهم بما يقدم لهم التلفاز من برامج موجهة لهم، وأيضاً نجدهم يطالبون بزيادة المواد المطبوعة كماً وكيفاً، أي أنّهم غير راضين أيضاً على ما يقدم لهم من مواد مقروءة، ونجدهم أيضاً غير راضيين عن التعليم الذي يتلقونه طرّقاً ومنهجاً.

عدم الرضا هذه يؤكد لنا أنّنا نسير في وجهة، وأولادنا يسرون في وجهة أخرى، لم نقدم لهم ما يشبع رغباتهم واحتياجاتهم وقدراتهم، وما يتناسب مع العصر الذي

¹ . قد شاركت في هذا المؤتمر ممثلة للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان بورقة عمل بعنوان: "أعمال مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل "رؤية تقييمية" ، وقد فوجئت بتكليفي بتقديم الرؤية التقييمية لأعمال المؤتمر أثناء انعقاده ، وأعددت الرؤية التقييمية في أحد مكاتب مكتبة الإسكندرية، بإمكانكم الاطلاع على الرؤية التقييمية لأعمال المؤتمر في الملحق رقم (1).

يعيشونه، لازلنا نخاطب طفل اليوم بنفس الطريقة التي نخاطب بها الطفل في الثمانينات من القرن الماضي، لا بد أن نلاحق التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، وأن نتعامل مع أطفالنا وفق قيمنا ومبادئنا وديننا، ولكن دون أن نتجاهل الطور والزمن الذي يعيشونه، لا بد أن نعمل من أجل أن يحافظوا على دينهم و هويتهم ولغتهم وقيمهم دون أن نعزلهم عن العالم المحيط بهم، أن نعلمهم كيف يتعاملون معه، وكيف يرسلون، ولا يكونون المتلقين فقط، وماذا يقبلون مما يتلقونه، وماذا يرفضون مما يتلقونه؟

أمّا أطفالنا في السودان والصومال لا بد أن نعينهم على اجتياز المحنة التي يمرون بها، وأن نعيدهم على إعادة البناء، بناء البنية التحتية لبلادهم للحفاظ على البنية التحتية للإنسان السوداني والصومالي، وهذا من حقوقهم علينا.

أمّا أطفال المهجر فعلىنا أن نربطهم بأوطانهم، وبلغتهم الأم عن طريق برامج تلافزية توجه إليهم، في أوقات يمكنهم مشاهدتها، وأن نطلب منهم ما يريدون منا تقديمه لهم، ونلبي طلباتهم.

وأخيراً: نتوقف عند أوضاع أطفالنا في ظروف الاحتلال في فلسطين والعراق، أكرر دعوتي للمجلس العربي للطفولة والتنمية بتخصيص مؤتمر خاص لأطفال فلسطين والعراق، تدعى له كل المنظمات والمؤسسات العربية والدولية التي تعني بالطفولة وحقوق الطفل، وحقوق الإنسان للمشاركة في هذا المؤتمر، وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة، وتبث جلسات المؤتمر كاملة على الهواء عبر قنوات فضائية بالعربية و بترجمة انجليزية ليقف العالم أجمع على الجرائم البشعة

التي ترتكب في حق أطفالنا في فلسطين والعراق، وما ذكرته بالأمس الدكتور فيحاء عبد الهادي عن واقع الطفل الفلسطيني في فلسطين يبين لنا ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات صارخة لحقوق الطفل، وحرمانه من حق الحياة، بقتله وهو جنين في بطن أمه، أو قتله، وأمه في المخاض عند حاجز أمني، وحرمانه حق الحرية، بسجنه وتكبيله، وحرمانه من حق الأمن والأمان بترويعه، والهجوم على بيته في آخر الليل لأسره، وحرمانه من حق التعلم، حق الحفاظ على هويته بسيطرتها على مناهج التعليم، وفرض مناهجها على الطفل الفلسطيني، وحرمانه من حق التنقل بالحوازج الأمنية المفروضة عليه، وبالجدار العازل، وما نشاهده ونسمعه عن الأطفال الفلسطينيين والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، والإرهاب النفسي والتتكيل الجسدي اللذان يصاحبان الاعتقال ويرافقانه في كل المراحل يخالف مخالفة صريحة ما جاء في اتفاقية جنيف الرابعة، واتفاقية حقوق الطفل، وتوصيات منظمة العفو الدولية التي تؤكد على ضرورة حماية الأطفال في زمن الحرب، وخلال النزاعات المسلحة، إلا أنّ الممارسات الإسرائيلية بحق الأطفال الفلسطينيين المعتقلين تعتبر انتهاكاً صارخاً لكافة المواثيق والأعراف الدولية، لقد نصت المادة رقم (37) من اتفاقية حقوق الطفل على "ألا يعرض أي طفل للتعذيب، أو لغيره من ضروب المعاملة القاسية، أو اللاإنسانية، أو المهينة ... وعلى أن يعامل كل طفل محروم من حريته بإنسانية واحترام للكرامة المتأصلة في الإنسان" ولكن قوات الاحتلال تضرب الطفل الفلسطيني ضرباً يُتعمد منه إحداث عاهة بالطفل تتلف دماغه، تجعله معوقاً لأنهم يهدفون من هذا تدمير البنية

التحتية والأساسية للإنسان الفلسطيني لتنشأ الأجيال القادمة معتوهة مُعَوَّقة، أو منسلخة من هويتها مستسلمة للاحتلال لتكون مجرد خدماً لهم، وهذا ما يهدفون إليه، وذات الهدف ما تسعى لتحقيقه قوات الاحتلال في العراق بتوجيه من الصهيونية العالمية، وبتخطيط من الموساد الذي زرع شبكاته في أرض العراق منذ أن وطأت أقدام الجنود الأميركيين والبريطانيين أرض العراق، فهم يعملون الآن على تدمير بنية الإنسان العراقي، المتمثل في أطفال العراق الذين يشربون الآن الماء الملوث بإشعاعات اليورانيوم المنضب، ويستنشقون الهواء الملوث به، ويأكلون النبات الملوث بذات الإشعاع، ولا يجدون المدارس التي يتلقون فيها العلم، فمدارسهم هُدمت، وباتوا يدرسون على الأرض في مخيمات، ولا يجدون الدواء والأجهزة لعلاجهم، الهدف من هذا هو إيجاد أجيال من العراقيين عاجزة معوقة مريضة هزيلة جاهلة تمهيداً ليكون العراق ضمن دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات، ليكونوا أيضاً خدماً وأتباعاً للإسرائيليين كما نصت بروتوكولاتهم، وقد بدأوا بسلبه أرضه وتاريخه، وبسرقة آثاره، وبتلويث أرضه ومياهه وهوائه باليورانيوم المنضب الذي يسبب السرطان، والعقم، والتشوّه الخِلقِي، والتخلف العقلي، ثم بسلبه إسلامه وعروبته، لينتهوا بعزلته عن أشقائه العرب و تمزيقه إلى طوائف ودويلات ضعيفة هزيلة متناحرة.

إنّ ما يحدث في العراق وفلسطين اختراق صريح لجميع المواثيق الدولية، وعلينا نحن عرباً ومسلمين أن نوحّد الجهود من أجل مطالبة المجتمع الدولي لوضع حد

لما يحدث من اختراقات لحقوق الإنسان، والطفل في فلسطين والعراق، وأنّه لا يوجد أحد مهما كان فوق القانون، وفوق المساءلة والمحاسبة.

إنّ سكوتنا عن ما يحدث في العراق وفلسطين سيؤدي بنا جميعًا إلى ذات المصير، فجميعنا مدرجون ضمن قائمة طويلة في مخطط الشرق الأوسط الكبير، ولا بد أن ننقذ إخوتنا، وإلا سنقع في ما وقعوا فيه، وسوف يصبح أطفالنا مثل مصير أطفالهم.

الخاتمة والتوصيات

وبعد : أتمنى أن أكون قد وفقت في توضيح كيفية اكتشاف الموهبة الأدبية ، وتنمية حسها الأدبي واللغوي لتسهم بأدبها وفكرها في بناء الإنسان منذ طفولته ليسهم بدوره في تنمية البناء الحضاري الإنساني ، وهناك عوامل جد هامة تسهم بدورها في البناء الإنساني أخصها في التوصيات التالية:

1- الاهتمام بربط ثقافة الطفل بالقرآن والسنة جد هام في العملية التربوية التنقيفية ، فهما النبعان الصافيان اللذان إن نهل منهما فهو يُفتق فيهم طاقات الابتكار والاختراع ، ولو رجعنا إلى سير علماء الميلمين ، نجد أنّ سر نبوغهم في العلوم والآداب التي تعلمت منها الإنسانية هو حفظهم للقرآن الذي يرقى بسلوك حافظه ويفجر طاقات الإبداع لديه ويجعل منه متأملاً لما حوله ومبتكراً في كل العلوم .

2- العمل على اكتشاف المواهب الأدبية في مراحل الطفولة الأولى ، وتتعهدا بالرعية والاهتمام إلى أن تنمو وتتضج.

3- أن تهتم وزارة الدعوة والشؤون الإسلامية والأوقاف بثقافة الطفل وإقامة الحلقات في المساجد لجذب الأطفال إلى منهج وسطي معتدل غير منفر .

4- أن تهتم وزارات الثقافة والإعلام بثقافة الأطفال ، وأن تنشئ قنوات لهم تكون أكثر جاذبية وإفادة يكون مضمونها محلياً عربياً إسلامياً، يشارك فيه مجموعة من الدعاة المعتدلين وعلماء الإسلام الذين برعوا في علوم عدة واستطاعوا أن يصلوا للعالمية.

5- أن تُنشأ دور نشر تختص بنشر كل ما يتعلق بالأطفال ، كما تهتم بنشر الإنتاج الأدبي للأطفال والشباب.

6- إضافة مادة التربية المهنية للمدارس الابتدائية لحث الطفل على الإبداع والاختراع.

7- أن يكون الطفل أحد موضوعات الحوار الوطني.

8- أن يكون في كل حي سكني مكتبة عامة للطفل ، وناد ثقافي للأطفال.

ثبت المصادر والمراجع

1. - الجرجاني . عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز .
2. جلال . د.سعد . (1985م) الطفولة والمراهقة . مكتبة المعارف الحديثة الإسكندرية . دار الفكر العربي . القاهرة.
3. حمّاد . سهيلة زين العابدين (1420هـ / 2000م) ما لا نعلمه لأولادنا "بحث تنمية القدرات اللغوية لدى الطفل 8، - محمد طه عصر : سيكولوجية الموهبة الأدبية والطفولة . ط1. عالم الكتب . القاهرة.
4. السعران . د.محمود . علم اللغة . دار الفكر العربي . مصر.
5. شاهين . د.عبد الصبور . (1404 هـ / 1984م) في علم اللغة العام . ط4. مؤسسة الرسالة .
6. صالح . د. محمود إسماعيل . علوم اللغة الحديثة. ماذا نعرف عنها؟ . مجلة الفيصل العدد 18. ذو الحجة 1398هـ / نوفمبر 1978م.
7. عمر , د.أحمد مختار (1405هـ . 1985م) . دراسة الصوت اللغوي . عالم الكتب . القاهرة. ط3.
8. فهمي . سمية أحمد (1979م) علم النفس وثقافة الطفل . ط2، مكتبة الأنجلو المصرية.
9. منصور . د. عبد المجيد سيد أحمد (1402هـ / 1982 /) . علم اللغة النفسي . عمادة شؤون المكتبات _ جامعة الملك سعود . الرياض .

ملحق رقم (1)

أعمال مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل "رؤية
تقويمية"

إعداد/ أ.سهيلة زين العابدين حمّاد

عضوة المجلس التنفيذي ولجنة الدراسات والاستشارات بالجمعية الوطنية لحقوق
الإنسان بالمملكة العربية السعودية مقدمة لمؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات
الثقافية المختلفة الذي عقد في الإسكندرية في مكتبة الإسكندرية في الفترة من 25-
27 سبتمبر عام 2005م ، ونظّمه المجلس العربي للطفولة والتنمية

رؤية تقييمية لأعمال مؤتمر الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة وحقوق الطفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الحضور الكريم: أحبيكم تحية الإسلام فسلام الله عليكم ورحمته الله وبركاته أما بعد...

على مدى ثلاثة أيام فقد استمتع جميعنا واستفاد بالأربع وثلاثين دراسة التي قدمها نخبة من علماء ومفكرين وتربويين وإعلاميين مختصين بشؤون الطفل والطفولة، وقد تناول الباحثون والباحثات المحاور التالية: المحور الأول: مصادر ثقافة الطفل العربي. المحور الثاني: لغة الطفل العربي في عصر العولمة. المحور الثالث: تأثير الإعلام المحلي والأجنبي على الطفل العربي. المحور الرابع: الاستفادة من بعض الخبرات الدولية "السويدية، والبولندية، والإيطالية" في تعويد الطفل على القراءة. المحور الخامس: حقوق الطفل الثقافية، وما هي السياسات القانونية والاجتماعية التي يمكن بوساطتها تفعيل حقوق الطفل العربي، بما يساعد على الارتقاء بواقعه، وتأمين مستقبله. المحور السادس: مكتبة الإسكندرية، وما تقدمه من إسهامات كصرح تاريخي وثقافي للارتقاء بالأوضاع الثقافية للطفولة العربية. المحور السابع: هوية الطفل العربي في ظروف استثنائية في دول المهجر، وفي البلاد المحتلة "فلسطين والعراق"، وفي البلاد التي تعاني من حروب أهلية، أو من آثارها "السودان

والصومال". المحور الثامن: مشاركة الأطفال من بعض البلاد العربية والاستماع إلى مطالبهم واحتياجاتهم الثقافية. هذا وقد أجاد وأفاد جميع الباحثين والباحثات كل في ميدانه، وموضوع بحثه، ويشكرون على ما بذلوه من جهود وأوقات في سبيل إنجازها، ولقد وفق المجلس العربي للطفولة والتنمية التوفيق كله في اختيار موضوع المؤتمر، ومشاركيه وضيوفه الذين أثروا بدورهم المؤتمر من خلال بحوثهم و مداخلاتهم القيمة، فشكرًا من الأعماق للمجلس العربي للطفولة والتنمية على هذا المؤتمر الذي أتاح لنا جميعًا فرصة اللقاء والتعرف والاستفادة من علوم وخبرات بعضنا البعض للعمل معًا كفريق عمل موحد من أجل الحفاظ على هويتنا وهوية أطفالنا، والتصدي لتحديات العولمة التي تريد سلخنا من هويتنا، وجعلنا مجرد أتباع ممسوخين.

هذا ومن خلال تأملنا في مضامين البحوث التي طرحت نجدها وإن اختلفت في محاورها، فهي جميعها تلتقي في الآتي:

أولاً: تقصيرنا في بناء أطفالنا، بل وجدنا أنفسنا قد قذفنا بفلذات أكبادنا في خضم العولمة لتبتلعهم، وتسليخهم من هويتهم.

ثانياً : أنّ الثقافة المطروحة والمقدمة للطفل العربي مفروضة عليه إما من قبلنا، أو من قبل العالم المحيط به دون مراعاة لرغباته واحتياجاته وقدراته ومواهبه.

ثالثاً أنّ من أطفالنا في الصومال والسودان يعانون من حرب أهلية دمرت البنية التحتية لبلادهم.

رابعًا: أنّ أطفال المهجر في حاجة منا للوقوف معهم للحفاظ على هويتهم.

خامسًا: أنّ من أطفالنا وفلذات أكبادنا من حرموا من حق الحياة، وحق الحرية، وحق الأمن والأمان، وحق التعلم، وحق التنقل، وحق اللعب، بل حرموا حتى من حق الضحك، ونحن نقف عاجزين عن إعادة حقوقهم التي سلبت منهم، بل عاجزون ليس عن حمايتهم فقط، وإنما عن المطالبة بحقوقهم. هذه المضامين الخمسة التي خرجتُ بها من قراءتي للبحوث والدراسات التي طرحت في هذا المؤتمر، والتي عشتها بكل كيانني وأحاسيسي، وتفاعلتُ معها. وهي تمثل جوهر حقوق الإنسان، وجوهر حقوق الطفل.

الحق الأول: البناء، بناء الطفل الذي يقوم على ثلاث أسس، هي:

1-تحديد الهوية "من أنا؟"

2- تحديد الانتماء "أشبه من أنا؟ لمن أنتمي؟"

4- تحديد القدوة، أو المرجعية "من اتبع؟"

وتحديد الهوية يرسم العلاقات الأولى للإنسان، أو الطفل ملامح ذاته، وترسي له التوازن في خطوات تعامله مع الآخرين، ونحن العرب هويتنا "العروبة" منا مسلمون، ومنا مسيحيون، ونحن كعرب على اختلاف أدياننا، فجميعنا أصولنا وجذورنا واحدة، والمسلمون منا هويتهم الإسلام والعروبة، والقرآن الكريم حدد هوية المسلم في قوله تعالى في سورة الأنعام: (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم

مسؤولية الأبوين في تشكيل الهوية، فيقول: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه، أو ينصرانه) فتحديد الهوية، والتمسكُ بها، والاعتزازُ بها سيعطي توازناً للطفل طوال حياته، ويجعل له هدفاً يسعى من أجله، وهو تعزيز هذه الهوية وتأكيدُها والافتخارُ بها، لأنها تمثل كيانه ووجوده وانتماءه، وبدونها يعيش في ضياع قاتل، وعليه أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة من أجل أن لا يسيء إليها، بل يكد ويكافح لتتبوأ مكانة عالية بين الهويات الأخرى. وتحديد الهوية ينبغي أن يتسم بالوضوح الذي يقتضي منا العمل لإشادة العلم الصحيح، وبناء القلب السليم بالتربية، وإعطاء القدوة الحسنة من أنفسنا، وتوفير البيئة التي تُعين على تبلور تلك الأمور. ومن خلال البحوث والدراسات التي طُرحت في المؤتمر، والتي تعكس واقعنا المرير للأسف الشديد، تبين لنا أنّ هناك قصوراً منا في تحديد الهوية ووضوحها، فلم نقدم لأولادنا العلم الصحيح، ولم نحسن تربيتهم ليكون بناء قلوبهم سليماً، ولم نكن في كثير من الأحوال تلك القدوة الحسنة، ولم نوفر لهم البيئة التي تعين على بلورة ما يتلقونه منا، بل بالعكس نحن وفرنا لهم البيئة التي تسلخهم من هويتهم التي اكتسبوها من عيشهم معنا في مجتمعاتنا. نحدثهم بلغة أجنبية، ندخلهم مدراس أجنبية، نذهب بهم إلى مطاعم أجنبية، نلبسهم لبساً قد يكون مطبوعاً عليه أحرف أجنبية، بل أحياناً يكون مطبوع عليهم أعلاماً لدول أجنبية، جعلنا من التلفاز جليسهم يلقنهم ما يريدون مبنوا برامجه دون توجيه منا، دون إيجاد لديهم الحس النقدي ليقوموا ما يرونه، فيرفضون ما لا يتفق مع قيمهم ودينهم وأخلاقياتهم التي ربيناهم عليها، ويأخذون منها ما يفيدهم وينمي معارفهم ومداركهم، وضعنا حواجز بينهم وبين خالقهم، حاجز

يقوم على التخويف والترهيب، "الله سيعذبك"، "الله سيحرقك في جهنم"، لم ننشئه على محبة الله، لم نجعل علاقته بخالقه علاقة حب، فيعمل على إرضائه لأنه يحبه، قبل أن يخاف من عقابه، فالإنسان إن أحب إنساناً يسعى لإرضائه، فما بالكم إن أحب خالقه، نعلمه أن الله معه، ناظر إليه، شاهد عليه، فمن يتربي على هذا لا يعصي خالقه. نحن بالغلو والتطرف، وتفسير الدين وفق أهواء وعادات وتقاليد وأعراف جاهلية، وألبسناها لباس الإسلام أوجدنا هوة بين أولادنا وبين دينهم، أصبحوا يعتبرون تطبيق الشريعة الإسلامية كارثة مأساوية، لأننا أسأنا تطبيقها، نسبنا كل المحرمات، وكل ما نريد نحن أن نحرمه إلى الإسلام، فكرة شبابنا الإسلام، وبالأخص بناتنا اللواتي يعتبرن الإسلام يحرمهن من كل ما يتمتعن به من حقوق، وأن تطبيق الشريعة الإسلامية يعني الحكم على المرأة بالحبس والقهر والضرب والجهل. إن الحديث عن حقوق الإنسان عامة في الإسلام، والمرأة بصورة خاصة حديث يحتاج إلى مؤتمر خاص به، ولكن كل الذي أقوله إن جميع المواثيق والاتفاقيات والبروتوكولات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة، وحقوق المرأة السياسية لم تأت بجديد فقد سبقها الإسلام بأربعة عشر قرناً وربع، وفاقها، هناك من الحقوق في المواثيق الدولية تنتهك قيماً ومثلاً دينية كإباحتها الزنا و الزواج المثلي الذين تحرمهما كل الأديان السماوية، ولم تحترم الكيان الأسري مثل اتفاقية إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وقد تمتع الإنسان في العصور الإسلامية الأولى بحقوقه في الإسلام كاملة، وسلبت منه في عصور التراجع الحضاري التي مرت بالأمة الإسلامية، والتي لا نزال نعاني منها الآن. فحفاظنا على هويتنا العربية والإسلامية يكون بتمسكنا بعروبتنا، بلغتنا،

بديننا، واللغة العربية الآن تتعرض لعملية هدم كبرى من خلال مشروع أمريكي تحت مسمى تحديث الثقافة العربية، ويتضمن هذا المشروع الدعوة لكتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية بدعوى أنّ حروف العربية المائلة تربى العنف في صغارنا، ومبررات أخرى ساذجة تستهدف اللغة العربية، لأنها لغة القرآن، فإذا تمكنوا من القضاء على العربية يتمكنون من القضاء على القرآن الكريم حيث فشلت كل محاولاتهم للنيل منه، من هنا علينا أن نحافظ على لغتنا، وعلى تعليمها لأولادنا لنحافظ على قرآننا، وعلى هويتنا. أمّا من حيث فرض على أطفالنا الثقافة التي نحن نريد دون مراعاة لرغباته واحتياجاته وقدراته، وهذا ما جاء نصه في المادة الثالثة عشر ببندها الأول والثاني في اتفاقية حقوق الطفل:

1. " يكون للطفل الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها، دون أي اعتبار للحدود سواء بالقول، أو الكتابة، أو الطباعة، أو الفن، أو بأية وسيلة أخرى يختارها الطفل ."
2. يجوز إخضاع ممارسة هذا الحق لبعض القيود بشرط أن ينصّ القانون عليها، وأن تكون لازمة لتأمين ما يلي:

أ - احترام حقوق الغير أو سمعتهم.

ب - حماية الأمن الوطني، أو النظام العام أو الصحة العامة، أو الآداب العامة. ومن خلال تقرير نتائج ورشة العمل التحضيرية التي شارك في أطفال من عدد من الأقطار العربية (الأردن، الإمارات العربية المتحدة، تونس، سوريا، فلسطين، قطر، عُمان، لبنان، مصر، اليمن)، وأعمارهم تتراوح من 6 سنوات، وثمان سنوات، 10

سنوات، 13 سنة، و14 سنة، و17 سنة، و18 سنة، أكدت عدم تمتع الطفل العربي بحقوقه الثقافية، وان مصادر ثقافتهم الإعلام في المقام الأول، يليه اللعب، أما الكتاب فيحتل المرتبة الثالثة. واختفى دور الأسرة كمصدر ثقافي للطفل، وهذا يعني تقاعس الأسرة، أو تراجع دور الأم والأب كمصدر ثقافي، بل نجده مختلف كدور الموجه والمعلم في عملية التلقين الثقافي لأطفالهم، كما نجد عدم ذكر للمدرسة كرافد ثقافي لأطفالنا.

أيضاً نلاحظ من خلال قراءتنا لهذه النتائج عدم رضا أطفالنا وقناعتهم بما يقدم لهم التلفاز من برامج موجهة لهم، وأيضاً نجدهم يطالبون بزيادة المواد المطبوعة كماً وكيفاً، أي أنهم غير راضين أيضاً على ما يقدم لهم من مواد مقروءة، ونجدهم أيضاً غير راضين عن التعليم الذي يتلقونه طرقياً ومنهجياً. عدم الرضا هذه يؤكد لنا أننا نسير في وجهة، وأولادنا يسيرون في وجهة أخرى، لم نقدم لهم ما يشبع رغباتهم واحتياجاتهم وقدراتهم، وما يتناسب مع العصر الذي يعيشونه، لازلنا نخاطب طفل اليوم بنفس الطريقة التي نخاطب بها الطفل في الثمانينات من القرن الماضي، لابد أن نلاحق التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، وأن نتعامل مع أطفالنا وفق قيمنا ومبادئنا وديننا، ولكن دون أن نتجاهل الطور والزمن الذي يعيشونه، لابد أن نعمل من أجل أن يحافظوا على دينهم وهويتهم ولغتهم وقيمهم دون أن نعزلهم عن العالم المحيط بهم، أن نعلمهم كيف يتعاملون معه، وكيف يرسلون، ولا يكونون المتلقين فقط، وماذا يقبلون مما يتلقونه، وماذا يرفضون مما يتلقونه؟

أمّا أطفالنا في السودان والصومال لآبد أن نعينهم على اجتياز المحنة التي يمرون بها، وأن نعيدهم على إعادة البناء، بناء البنية التحتية لبلادهم للحفاظ على البنية التحتية للإنسان السوداني والصومالي، وهذا من حقوقهم علينا.

أمّا أطفال المهجر فعلىنا أن نربطهم بأوطانهم، وبلغتهم الأم عن طريق برامج تلافزية توجه إليهم، في أوقات يمكنهم مشاهدتها، وأن نطلب منهم ما يريدون منا تقديمه لهم، ونلبي طلباتهم. وأخيراً : نتوقف عند أوضاع أطفالنا في ظروف الاحتلال في فلسطين والعراق، أكرر دعوتي للمجلس العربي للطفولة والتنمية بتخصيص مؤتمر خاص لأطفال فلسطين والعراق، تدعى له كل المنظمات والمؤسسات العربية والدولية التي تعني بالطفولة وحقوق الطفل، وحقوق الإنسان للمشاركة في هذا المؤتمر، وفي مقدمتها منظمة الأمم المتحدة، وتبث جلسات المؤتمر كاملة على الهواء عبر قنوات فضائية بالعربية وبترجمة انجليزية ليقف العالم أجمع على الجرائم البشعة التي ترتكب في حق أطفالنا في فلسطين والعراق، وما ذكرته بالأمس الدكتور فيحاء عبد الهادي عن واقع الطفل الفلسطيني في فلسطين يبين لنا ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات صارخة لحقوق الطفل، وحرمانه من حق الحياة، بقتله وهو جنين في بطن أمه، أو قتله، وأمّه في المخاض عند حاجز أمني ، وحرمانه حق الحرية، بسجنه وتكبيله، وحرمانه من حق الأمن والأمان بترويعه، والهجوم على بيته في آخر الليل لأسره، وحرمانه من حق التعلم، حق الحفاظ على هويته بسيطرتها على مناهج التعليم، وفرض مناهجها على الطفل الفلسطيني، وحرمانه من حق التنقل بالحوازر الأمنية المفروضة عليه، وبالجدار العازل، ما

ذكرته الدكتورة فيحاء عن الأطفال الفلسطينيين والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، والإرهاب النفسي والتتكيل الجسدي اللذان يصاحبان الاعتقال ويرافقانه في كل المراحل يخالف مخالفة صريحة ما جاء في اتفاقية جنيف الرابعة، واتفاقية حقوق الطفل، وتوصيات منظمة العفو الدولية التي تؤكد على ضرورة حماية الأطفال في زمن الحرب، وخلال النزاعات المسلحة، إلا أن الممارسات الإسرائيلية بحق الأطفال الفلسطينيين المعتقلين تعتبر انتهاكاً صارخاً لكافة المواثيق والأعراف الدولية.

لقد نصت المادة رقم (37) من اتفاقية حقوق الطفل على "ألا يعرض أي طفل للتعذيب، أو لغيره من ضروب المعاملة القاسية، أو اللاإنسانية، أو المهينة ... وعلى أن يعامل كل طفل محروم من حريته بإنسانية واحترام للكرامة المتأصلة في الإنسان" ولكن قوات الاحتلال تضرب الطفل الفلسطيني ضرباً يُتعمد منه إحداث عاهة بالطفل تتلف دماغه، تجعله معوقاً لأنهم يهدفون من هذا تدمير البنية التحتية والأساسية للإنسان الفلسطيني لتنشأ الأجيال القادمة معتوهة مُعَوَّقة، أو منسلخة من هويتها مستسلمة للاحتلال لتكون مجرد خدماً لهم، وهذا ما يهدفون إليه، وذات الهدف ما تسعى لتحقيقه قوات الاحتلال في العراق بتوجيه من الصهيونية العالمية، وبتخطيط من الموساد الذي زرع شبكاته في أرض العراق منذ أن وطأت أقدام الجنود الأمريكيين والبريطانيين أرض العراق، فهم يعملون الآن على تدمير بنية الإنسان العراقي، المتمثل في أطفال العراق الذين يشربون الآن الماء الملوث بإشعاعات اليورانيوم المنضب، ويستنشقون الهواء الملوث به، ويأكلون النبات الملوث بذات الإشعاع، ولا يجدون المدارس التي يتلقون فيها العلم، فمدارسهم هُدمت، وباتوا يدرسون على

الأرض في مخيمات، ولا يجدون الدواء والأجهزة لعلاجهم، الهدف من هذا هو إيجاد أجيال من العراقيين عاجزة معوقة مريضة هزيلة جاهلة تمهيداً ليكون العراق ضمن دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات، ليكونوا أيضاً خدماً وأتباعاً للإسرائيليين كما نصت بروتوكولاتهم، وقد بدعوا بسلبه أرضه وتاريخه، وبسرقة آثاره، وبتلويث أرضه ومياهه وهوائه باليورانيوم المنضب الذي يسبب السرطان، والعقم، والتشوه الخلقي، والتخلف العقلي، ثم بسلبه إسلامه وعروبته، لينتهوا بعزلته عن أشقائه العرب و تمزيقه إلى طوائف ودويلات ضعيفة هزيلة متناحرة. إنَّ ما يحدث في العراق وفلسطين اختراق صريح لجميع المواثيق الدولية، وعلينا نحن عرباً ومسلمين أن نوحّد الجهود من أجل مطالبة المجتمع الدولي لوضع حد لما يحدث من اختراقات لحقوق الإنسان، والطفل في فلسطين والعراق، وأنّه لا يوجد أحد مهما كان فوق القانون، وفوق المساءلة والمحاسبة. إنَّ سكوتنا عن ما يحدث في العراق وفلسطين سيؤدي بنا جميعاً إلى ذات المصير، فجميعنا مدرجون ضمن قائمة طويلة في مخطط الشرق الأوسط الكبير، ولا بد أن ننقذ إخوتنا، وإلا سنقع في ما وقعوا فيه. اللهم أعز الإسلام والمسلمين ووحّد كلمتهم واجمع صفوفهم، ولا تمكن الأعداء منهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

